

دراسات فى الأدب والنقد
(١) أدب الطفولة

أدب الطفولة

«أصوله ومفاهيمه» رؤى تراثية»

تأليف
د. أحمد زلط



الشركة العربية للتقنية والتوزيع

Generalization of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٩٧

أدب الطفولة تأليف د . أحمد زلط
الطبعة الأولى ١٩٩٠م
الطبعة الثانية ١٩٩٢م
الطبعة الثالثة ١٩٩٤م
الطبعة الرابعة ١٩٩٧م

حقوق الطبع محفوظة للناشر

جميع حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة للشركة العربية للنشر
والتوزيع بالقاهرة ج . م . ع «٤٢ (أ) شارع جول جمال المهندسين» .
ت : ٣٠٣٦٣٠١

ولا يجوز إعادة نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأي طريقة إلا بموافقة
الناشر كتاباً

«الناشر»

الهدايا :

★ إلى الأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكى ..

★ وإلى الأستاذ الدكتور محمد ز غلoul سلام .

العطاء والاستاذية

امديهما معا هذا الكتاب تحية العرفان الموصول

احمد....

مقدمة الطبعة الأولى :

* أدب الطفولة أو أدب مرحلة الطفولة Chidhood هو أحد الأنواع الأدبية المتجددة فى أدب سائر اللغات الإنسانية ، وقد بدأ الأدب العربى الحديث يهتم بهذا اللون المتجدد فى ميادين البحث والإبداع والوسائل ، ومن المعروف أن خزانة التراث العربى مملوءة بأشكال التعبير الأدبى - فى الأدبين الرسمى والشعبى - والتي تتوجه إلى مراحل الطفولة فى أطوارها المختلفة . وأدبنا الموروث لم يهمل الطفل وأدبه فى مجالى الشعر بالرغم من اهمال العقل العربى المبدع - عن غير قصد - لمسألة المواضعة المصطلحية لأدبيات الطفولة أى تحديد مسمى لذلك الجنس المتجدد . يكفينا النتاج الإبداعى للطفولة المدون فى أمهات كتب التراث العربى . وفى الأدب الشعبى والشفاهى للطفل الذى تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل وفى اسهامات كوكبة من المحدثين والمعاصرين فى ذلك المجال .

ويحاول هذا الكتاب - عزيزى القارئ - أن يطلعك على نتائج رحلة شائقة شائكة ، قضائها المؤلف لسنوات طوال بين آثار عبقرية القدامى واسهامات المحدثين فى مجال أدب الطفولة . إن أبرز محاولة منهجية إستهدفها هذا الكتاب هى : التأسيس التاريخى والفنى لأدبيات الطفولة . وأزعم فى محاولتى أنها قد تسهم بدرجة ما فى تحديد المفاهيم اللغوية والإصطلاحية والفنية لأدب الطفل العربى وفى استقراء تاريخه ، وأنواعه ومفاهيمه .

وهذا الكتاب أيضاً لاينفصل فى مقاصده وبعض أفكاره عن الجهود المتميزة لأصحاب المؤلفات التربوية أو الأكاديمية أو الدراسات العامة التى سبقت اصدار مثل هذا الكتاب وأقتربت من التخصص الدقيق (أدب الطفولة) كعلم أدبى شأنه شأن العلوم الأخرى فلقد أسهمت جهود كوكبة لا يستهان بأدوارها الفكرية الحديثة والمعاصرة فى ذلك المجال من علماء الأدب وعلم النفس والتربية أو خبراء وكتاب الطفولة من أمثال: د . عبد العزيز عبد المجيد(القصة فى التربية) ، د . عبد العزيز صالح (التربية والتعليم فى مصر القديمة) ، د . سهير القلماوى(ألف ليلة وليلة) ، د . على الحيدى (الأدب وبناء الإنسان = فى أدب الأطفال)، د . مصطفى الجوينى (حول ادب الأطفال)، د . هدى قناوى (أدب الأطفال،

وسائط أدب الأطفال) ، د . هادى الهيتى (أدب الأطفال = ثقافة الأطفال)، د . نفوسة
زكريا (خرافات لافوتنتين)، بالإضافة إلى الاسهامات البحثية والابداعية لعبد التواب يوسف
ويعقوب الشارونى وأحمد نجيب ومحمد محمود رضوان ونظرائهم .

والأمل عريض فى أن تتاح لنا الفرصة كى نتناول بالنقد والتحليل الانتاج الأدبى لرواد
أدب الطفولة فى مصر ، فبين أيدينا - قيد الطبع - دراسات حول أدب الرواد : عثمان
جلال ، وأحمد شوقى ، ابراهيم العرب وكامل الكيلانى ومحمد الهراوى ، باعتبارهم الرواد
الأوائل فى الأدب العربى (الحديث) الذين عبدوا الطريق أمام أدب الطفل ، كما نأمل أن
تتوفر بالدراسة والتحليل لتناول الإسهامات المهمة فى هذا المجال - فى دراسة أخرى بحيث
نقف عند إنتاج بعض المبدعين أمثال : عبد التواب يوسف، عبد العليم القبانى، سعيد
العربان، محمد السنهوتى، أحمد سويلم وأحمد زرزور وحسين على محمد، وأحمد فضل
شبلول، سمير عبد الباقي، وأحمد الحوتى، ويس الفيل ومحمد فريد معوض وغيرهم من
الأدباء الذين يشكلون خارطة أدبيات الطفولة المعاصرة فى مصر موازنة مع كوكبة أدباء
الطفولة فى الأقطار العربية الشقيقة .

يبقى أن أقدم هذا الكتاب الجديد للمكتبة العربية، واست أدعى فيه مؤلفاً مثالياً بريئاً
من المغامز، وحسبى انتى توخيت الموضوعية ، أجتهد مع الفريق البحثى العربى الذى يملأ
الساحة المعاصرة . . أقدم للطفولة أشرف المحاولات وأنبلها فى ميدان العلم .

وما أوتينا من العلم الا قليلا،،،

والله الموفق والمسدد للصواب

المؤلف

ص.ب ١٧١ الزقازيق

' جمهورية مصر العربية '

هاتف (٣٤٣٦٠١) ٠٥٥

مقدمة الطبعة الرابعة :

هذه الطبعة . . .

.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبين يدي جمهور القراء - هذه الطبعة الرابعة - من كتاب (أدب الطفولة : أصوله . . مفاهيمه) ولعل توالى إصدارها بهذا المعدل - منذ صدور الطبعة الأولى عام ١٩٩٠ - إنما يصادف مربود الثقة الغالية لدى جمهور القراء والباحث والآباء من المعلمين والمربين وسائر المهتمين بأدب الطفل وثقافته . لقد استهدفت الطبعة - كسابقاتها - أن تحافظ على الهدف الذى صُنفت من أجله وهو محاولة (التأصيل التاريخى والفنى لأدبيات الطفولة) باستقراء الأصول التراثية فى لغتنا وأدبنا ؛ مما يسهم فى تعبيد الاسس أو المفاهيم الأكاديمية فى مجال أدب الطفل الموروث وأنواعه .

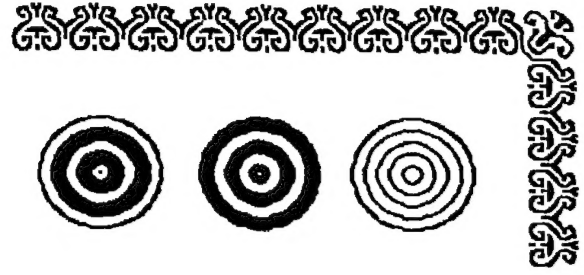
والمؤلف يدفع بكتابه فى تلك الطبعة الرابعة المنقحة وهو شبه راض ؛ حيث تم تصويب بعض الأغلاط الطباعية أو ملحوظات إبراز العناوين . كذلك تم الافادة من الآراء العلمية الثاقبة التى أشار إليها بعض النقاد فى معرض تنويرهم بالمؤلف حال صدوره ، أما الآراء الشخصية أو الانفعالية أو الجزئية القاصرة ، فلم تعبأ بها الطبعة .

أحمد الله عز وجل الذى وفقنى لبلوغ شطآن أحد مرافئ جزائر الأدب الرحبة :

أدب الطفل ، الذى أراه - بعد توالى إصدارى لعدة كتب أو طبعات فى مجاله التنظيرى والنقدى - أراه أدباً نوعياً خالصاً فى : أنواعه وخصائصه الفنية الذاتية ، ثم يلى ذلك طرق تدريسه أو اكسابه أو تنويعه عبر «الوسائط» أو «المناهج» ، والمناشط .

إن وسائل أو وسائط أدب الطفل تتسيد الساحة المعاصرة فى غيبة الأدب ذاته ، وهو ما حاولت مجهوداتى المتواضعة أن تطرح الأصيل والأصوب دون فصل التعارض بين (الابداع) والوسيط) ؛ كذلك حاولت أن أتعبق المتطفل فى منظومة موضوعية سدتها العلم وغاياتها البناء الأمثل لنايئة الأمة . وعلى الله قصد السبيل .

أحمد



الباب الأول

الأدب والطفولة

«الأصول والمفاهيم التراثية»

مدخل

الطفولة هي الغرس المأمول لبناء مستقبل الأمة ، والأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أى مجتمع يخطط لبناء الإنسان الذى يعمر به أرضه ويدعم بقايلته وجوده الإنسانى ويؤكد تواصله الحضارى . والأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس ؛ لأننا لو نظرنا إلى الحياة فى وجهها المضى لرأينا أن ما يمنحها الجمال والسعادة أمران اثنان هما : المال والأبناء ، يقول الله عز وجل فى محكم كتابه الكريم :

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ الآية ٤٦ سورة الكهف .

فالأموال والأولاد هما الثروة فى جانبها المادى والبشرى ، وعلى هذين الأمرين تقوم الحياة ويعمر الكون .

وفى أهمية الالتفات الى الطفولة وحسن رعايتها يقول الرسول الكريم (ﷺ) فى الحديث النبوى : (الولد من ریحان الجنة)^(١) . وعبر الأدباء عن مكانة الطفل الى النفس ، ففطن رجاله الى التعبير عن ذلك عن طريق النثر والشعر، ويقول الشاعر العربى حطان بن المعلى^(٢) فى مقطوعته الشعرية الضادية :

من شامخ عال الى خفض	أنزلنى الدهر على حكمه
فليس لى مال سوى عرضى	وغالنى الدهر بوفر الغنى
أضحكنى الدهر بما يرضى	أبكاني الدهر ، وياربما
رددن من بعض الى بعض	لولا بنيات ، كزغب القطا
فى الأرض ذات الطول والعرض	لكان لى مضطرب واسع
أكبادنا تمشى على الأرض	وانما أولادنا بيننا
لامتنعت عيني عن الغمض	لو هبت الريح على بعضهم

(١) رواه الحكيم الترمذى ؛ وتشير أيضاً كتب السيرة ، والأخبار واللغة والأدب فى أكثر من موضع منها الى أى مدى بلغت مناهة الأرائل بالطفل ، وتزايد هذا الاهتمام بظهور الاسلام ولقى الطفل فى ظل الحضارة الاسلامية أوجه العناية المتكاملة وأبرزها تغيير النظرة الجاهلية للطفل الانثى وتحقيق الرعاية المتساوية بين الذكر والانثى من ولادتهما حتى يشبا .

(٢) حطان بن المعلى المخزومي القرشي ، شاعر اسلامى ، انظر . شرح ديوان الحماسة ، محاضرة الأخبار ومسايرة الأبرار من ٢٢ ، من ٢٠٨ .

وإذا كان الأدب هو الصورة الراقية فى سجل الحياة المكتوب ، فإن هذا الكتاب سيحاول رصد جنود (أدب الطفل) فى تراثنا العربى والإسلامى لسبر ظاهرة وجود هذا الجنس الأدبى فى الأدب العربى فى ظل الحضارة الإسلامية .

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان فى أحسن تقويم ، وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل والتفكير والحواس التى تنبض برقة المشاعر وفيض الاحساس . يقول فى ذلك عز من قائل «الذى أحسن كل شئ خلقه ، بدأ خلق الانسان من طين . . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون» الآيات (٧-٩) سورة السجدة . لقد خلق الله الانسان وهياً له كل الأسباب للبحث فى الكون ، باعتباره خليفة الله فى الأرض المكلف بحمل الأمانة بأعبائها العظام «أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان» . الآية (٧٢) سورة الأحزاب . وفى سبيل قدرة الانسان على حمل التكاليف الثقيل زوده الله سبحانه بوسائل الاتصال التى يتمكن عن طريقها من بناء جسور بينه وبين من حوله ، ومن ثم القدرة على الإدراك والانتباه والتذكر ، والتمييز بين المتناقضات ، قال سبحانه وتعالى : «ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهدىناه النجدين» الآية (٨-١٠) سورة البلد . ومما لاجدال فيه أن الطفل يولد وقد زود بكافة وسائل الاتصال للتعامل مع كل المحيطين به ومن ثم تنمو كل الحواس ، ويلعب أول دور ملحوظ فى أنوار التربية من خلال الوالدين وفى الحديث النبوى يقول الرسول ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه^(١)) . أما مراحل اكتساب القيم والاتجاهات والسلوك فتجى من خلال روافد متنوعة ؛ أهمها كيف يتعلم الطفل، ويدرك ويتأثر، ويختزن طوال مراحل طفولته المتدرجة أساس تلك القيم لمستقبل ينتظره . وقد قال الإمام على بن أبى طالب (علموا بنيكم غير أخلاقكم ، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم^(٢)) ولو استعرضنا معنى التربية لغة ومعنى باعتبارها وسيطة تعليمية تربوية فعال؛ بل هى عماد عمليات التنشئة المتكاملة ، سيطالعنا الأصل اللغوى للكلمة فى مادة (ربب) وفى لسان

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة ، انظر هامش أحياء علوم الدين ج ١ ، ص ٧٢ .

(٢) ينظر : مجلة المنهل ، ملف العام النبوى للطفل ، ج ٤٣٤ ، السعدية ١٤٠٥ هـ .

العرب لابن منظور تجي ريب بمعنى: (الرب يطلق فى اللغة العربية على المالك ، والسيد والمرى والقيم والمنعم . . وربيت القوم سئستهم أى كنت فوقهم^(١)) وفى الحديث لك نعمة تربها أى تحفظها وتراعيها وتربيها ، كما يربى الرجل ولده . . .

وفى حديث ابن ذى يزن : أسد تربب فى الغيطان أشبالاً ، أى تربى وهو أبلغ منه ومترب بالتكرير الذى فيه ، وتربيته وأربيته ورباه تربية على تحويل التضعيف ، أيضاً أحسن القيام عليه ووليه كان ابنه أو لم يكن^(٢) . وينسب التهانوى صاحب كشف اصطلاحات الفنون - الربانى الى الرب فيذكر: الرب هو إنشاء الشئ حالاً فحالاً الى الحد التام^(٣) وقد قال الامام اليبضاوى (٦٨٥ هـ) أن : الرب فى الأصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به تعالى للمبالغة ، وهو متأثر فيما أرجح - لمقوله وردت فى هذا المعنى بكتاب مفردات الراغب الأصفهانى (٥٠٢ هـ) هى : الرب فى الأصل : التربية ، وهو انشاء الشئ حالاً فحالاً الى حد التمام^(٤) وتنطبق تلك المقولة على تربية الطفل من حين ولادته الى أن يبلغ ويشب ومن قبلهما قال حاتم الرازى (٣٢٢ هـ) فى كتاب الزينة: الرب من التربية ، واشتقاق الرب من التربية ، يقال رباه يربيه تربية يربيته تريباً . . . إنما قيل للمخلوق رب الشئ لأنه يسوسه ويديره . . . والتربية هى القيام عليه بالاصلاح حتى يبلغ المراد ومن أجل ذلك سمي الربائب لأنهن يتربين فى حجور أزواج أمهاتهن فكانت قاصداً بالاصلاح حتى بلغوا^(٥) . قال الله عز وجل «وربائبكم اللاتي فى حجوركم» الآية ٢٣ سورة النساء . . . وغير الأصل اللغوى لمادة (ربب) فى المعاجم عند علماء اللغة ، نستطيع أن نستعرض بعض المفاهيم الاصطلاحية للتربية الموروثة ، فقد وقف أصحاب المذهب الفلسفى المثالى عند مفهوم التربية موقفاً يتلخص فى إعداد العقل السليم فى الجسم السليم على نحو ما قال بذلك أفلاطون وأرسطو . وتعنى التربية عند الفيلسوف الطبيب (ابن سينا) سياسة ؛ وقد عبر عن ذلك بقوله : (سياسة الرجل أهله وولده)^(٦) .

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، ج٢ ، ص ٢٨٤ ، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة د . ت .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(٣) (٤) كشف اصطلاحات الفنون ، التهانوى ، ج٤ ص ٤ ط الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ .

(٥) أصول التربية الاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوى ، ص ١٢ ، دار الفكر دمشق ، ١٩٧٩ م .

(٦) كتاب السياسة ، تعليق يونس البسوى ، ص ٤ ، ط البستان بيروت ١٩٨٥ م .

وتنبه أدباء اللغة العربية الأوائل لأهمية التربية في إطارها التهذيبى للناشئين فقال بعضهم : اطبع الطين ما كان رطباً وأغمر العود ما كان لدناً وقال الشاعر:

إذ المرء أعتته المروءة ناشئاً فمطلبها - كهلاً - عليه شديد

وشبيه به قول البوصيرى :

والنفس كالطفل أن تهمله شب على حب الرضاع وإن تقطمه ينقطع

وقال شاعر من شعراء الحكمة :

وإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه

حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذى أبصرت من يبسه

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثرى رمسه

ولم ينفصل مفهوم تربية الطفل بمعناه اللغوى أو الاصطلاحى فى الحضارة الاسلامية عن الآداب العامة وتعنى بها السلوك والتهذيب والتأديب ورعاية الناشئة بأدب الدنيا والدين، حقاً إن التربية لم تقترن فى تاريخ الأدب العربى بأواصر ترادف مع الأنواع الأدبية أو فى أوجه الشبه أو فى التماثل لمفهوم اصطلاحى مشترك الأغراض لمعان لغوية تجمعهما ، ولكن الذى لاشك فيه أن الأدب والتربية اشتركا معاً فى توجيه الأغراض الخلقية والقيم السلوكية الايجابية التى حث عليها الدين والقيم العليا بين الجماعات البشرية ، كما ان العلميات التربوية تستنبط من المفاهيم اللغوية العناصر التى تمكنها من رعاية الأطفال والناشئة من مثل (المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها . . . تنمية مواهبه واستعداداته كلها وهى كثيرة ومتنوعة توجيه هذه الفطرة وتلك المواهب كلها نحو صلاحها وكمالها اللائق بها . . .

بالتدريج فى هذه العملية وهو ما يشير إليه البيضاوى بقوله "شيئاً فشيئاً" والراغب بقوله: "إنشاء الشئ حالاً فحالاً . . .) وفى المجتمع العربى القديم ؛ نهض بمهمة التربية فى الأعم الأغلب المربيات والأمهات والجديات والطبقة المعروفة من الأدباء والمؤدبين .

والطفل وهو يكتسب هذه الأهمية يستطيع أن يكتسب اللغة وآدابها كحق طبيعي وهبه الرحمن تعالى: الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان الآيات (١-٤) سورة الرحمن ، وألزمه التعليم والادراك والتذكر والتدبر قال عز وجل :

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ الآيات ١ - ٥ سورة العلق

وقد فطن الأرائل من علماء العربية وفقهاء الإسلام الى أهمية العناية بالأبناء والحث على تأديبهم وتعليمهم وارشادهم للأخذ بأسباب التعليم والافادة من مطالعة الكتب التى تخاطب القلب وتنمى العقل ، ويقول الامام الغزالى (١١١- م) أيها الولد : كم من ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب . . . أيها الولد اذا قرأت العلم وطالعت ، ينبغى أن يكون علمك يصلح قبلك ويزكى نفسك^(١) . وفى هذا قال ابن المقفع (وللعقول سجيّات وغرائز ثقيل الأدب، وبالأدب تنمو القلوب وتزكو وليس غذاء الطعام بأسرع فى نبات الجسد من غذاء الأدب فى بناء العقل . . . بالأدب تعمر القلوب وبالعالم تستحكم الأهلام^(٢)) وليس ذلك بغريب ؛ فدروس الآداب فى سائر الحضارات القديمة مثل الحضارة الفرعونية (بما تضمنته من شعر ونثر كان لها تقديرها البالغ فى المناهج التعليمية ، وكانت دروس هذه الأبطال تبدأ مع التلميذ فى المرحلة التعليمية الأولى بفقرات بسيطة ، ثم يواصل دراستها فى مرحلته المتقدمة بنصوصها الكاملة^(٣)) وإستقراء معظم البرديات المصرية القديمة التى تتضمن الحياة التربوية والتعليمية فى مصر الفرعونية يدلنا على دقة وذوق ووعى بالغ عند اختيار المصرى القديم للنصوص الأدبية ، فهى تبتعد عن الغموض، والتعقيد ، والتكرار فى غير موضعه، والتكريس والنصح المباشر كما كانت المدرسة التربوية المصرية القديمة تشجع فى الطفل الجانب الابداعى وتعد الناشئ (بالاشتراك فى الهيئة الحاكمة ، وبخير أسمى وظلّه يذكر لمن يستطيع أن يؤلف كتاباً يطالعه الناس يلتمسون فيه سحره سحر بيانه وحكمته)^(٤).

بعد محاولتنا ايضاح طبيعة العلاقة بين التربية والأدب نستعرض فيما يلى المفهوم

(١) أيها الولد المحب للامام العزائى ، تحقيق عبد الله أبوزينه ، ص ٢٢ - ٨٦ ، ط دار الشروق القاهرة ١٩٨٢ م .
(٢) آثار ابن المقفع ، عبد المقفع ، ص ٢١٨ - ٢٣٠ نشر دار مكتبة الحياة ببيروت د . ت .
(٣) التربية والتعليم فى مصر القديمة ، د . عبد العزيز صالح ، ص ٢٢٢ ، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦ م .
(٤) المراجع السابق ٣٦٩ .

اللغوى والاصطلاحى للطفولة باعتبارها الشريحة الإجتماعية محور البحث الأدبى فى موضوع الكتاب . فالطفولة مرحلة عمرية من عمر الكائن البشرى تتسم بأطول وأدق مرحلة طفولة بين سائر المخلوقات . قال الله تعالى فى القرآن الكريم فى شأن معجزة خلق الانسان «انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا» الآية ٢ سورة الانسان.

وفى شأن كمال الخلق: «لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم» الآية ٤ سورة التين «الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدي» الآيتان ٢ ، ٣ سورة الأعلى ، وعلمه سبحانه البيان: «الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان» الآيات (١ - ٤) سورة الرحمن . وميزه عز وجل بالحواس : «ألم نجعل له عينين واسناناً وشفقتين وهديناه النجدين» الآيات ٨: ١٠ سورة البلد . تدلنا الآيات البيئات السابقات عن معجزة خلق الانسان الذى كلفه الله عز وجل بحمل الأمانة والنهوض بتبعاتها الثقيل العظام ، وقد زوده - سبحانه - بالعقل والسمع والبصر والفؤاد ، وسائر الحواس التى تؤهله للإدراك والمعرفة ، ومنذ أن قال سقراط (٤٦٩ ق . م) كلمته المشهورة : أعرف نفسك ومحاولات الباحثين لم تنقطع بحثاً عن حقيقة الانسان فى جانبيه المادى والروحى . فقد شهد القرن الحالى ثورة معرفية شملت كل جوانب الحياة . ثورة حققت للانسان فرصاً أفضل للعيش والسيادة على الأرض كخليفة لله عليها . وبعد اشباع مادى لانسان الحضارة المادية الحاضرة وبآثارها الطاحنة رأيناه يتوجه ضمن توجهاته المتعددة الى الطفولة ليعيد تشكيلها باعتبار الطفولة بداية الحياة ، ولقد ساعده فى ذلك ماقدمته الدراسات البيولوجية والنفسية من براهين على أن الطفل هو أبُ الرجل ، وأن الأمة كالفرد .

ومرحلة الطفولة : هى فترة الحياة التى تبدأ منذ الميلاد حتى الرشد ، وهى تختلف من ثقافة الى أخرى ، فقد تنتهى عند البلوغ ، او عند الزواج ، أو يصطلح على سن محددة لها .

الطفل لغة :

وردت لفظة الطفل فى القرآن الكريم أربع مرات : اثنتان منها تشيران الى المرحلة المبكرة قال تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرمكم طفلاً﴾ الآية ٦٧ سورة غافر . ﴿ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم﴾ الآية ٥ سورة الحج ، وواحدة للمرحلة المتوسطة من عمر الطفل ، قال عز من قائل: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على هورات النساء﴾ الآية ٣١ سورة النور . والأخيرة لمرحلة الطفولة المتأخرة : ﴿واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ الآية ٥٩ من سورة النور . وفى لسان العرب لابن منظور تفصيل للأصول اللغوية للفظه طفل فيذكر : قال الزجاج : " . . طفلاً هنا فى موضع أطفال يدل على ذلك ذكر الجماعة وكأن معناه ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً . . والطفل والطفلة : الصغيران والطفل الصغير من كل شئ من الطفل بالفتح الرخص الناعم ، والجمع طفال وطفول" (١) والطفل الصغير من كل شئ اذا بين : الطفل والطفالة والطفولة والجمع اطفال (٢) والطفل لغة فى المصباح المنير بمعنى الولد الصغير من الانسان والدواب ، ويكون الطفل يلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع . . ويبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل . بل صبى وحزور ويافع ومراهق وبالع ، وفى التهذيب يقال له: طفل الى ان يحتلم (٣) وفى مختار الصحاح الطفل بمعنى: المولود وولد كل وحشية أيضاً والجمع اطفال ، وقد يكون الطفل واحداً وجمعاً .. والطفل بفتحتين والطفلى الذى يدحل وليمة لم يدع اليها (٤) . وعلى شاكلة مثل هذا التوارد والتوافق والترادف وردت لفظة الطفل فى ثنايا أمهات كتب التراث الشعرى واللغوى بخاصة، والنتاج الفكرى بعامة ، وأن اختلف المسمى من طفل الى صبى أو من ولد الى غلام ، وقد أقسم الله عز وجل بالولد فى سورة البلد ﴿ووالد وما ولد﴾ الآية ٣ سورة البلد .

وفى اللسان الولد : هو الصبى يولد . . والصبى يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه الى أن يحتلم ، وفى مادة (صبا) ، والصبى: الغلام والجمع صبية وصبيان والمصدر

(١) لسان العرب لابن منظور من ٢٦٨١ - ٣٦٨٢ ، ط دار المعارف . د. ت.

(٢) المصدر السابق ، من ٢٦٨٢ . .

(٣) مختار الصحاح من ٤٠٥ .

(٤) اللسان ، مادة ولد ، من ٢٦٨١ .

والصبا، والصبوة: جهلة الفتوة . . والصبا من الشوق يقال منه تصابى وصبا يصبوه وصبوا ، أى مال الى الجهل والفتوة والصبا ربح تستقبل البيت ، قيل لأنها تحن الى البيت وتود مادة (ولد) فى سياق القرآن الكريم حول معان وموضوعات عديدة لكننا نلاحظ اقتران مادة (ولد) فى المعنى القرآنى بأمرين: أولهما : المال باعتبار أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا وهما أيضاً الثروة فى جانبيها المادى والبشرى ، والأمرى الثانى: التأكيد على رفض أن يكون للرحمن ولد، قال الله عز وجل ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ الآية ٨١ سورة الزخرف : مما يدل على إعطاء البنوة - تعالى الله عنها علواً كبيراً - مكانة سامية ﴿وما ينبئنى للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ الآية (٩٢) سورة مريم ، وتعنى لفظة الصغار : مصدر الصغير فى القدر ، لأن الصغار لغة فى اللسان : الصغار بالفتح الذل والضيم وكذلك الصغر بالضم والمصدر الصغر بالتحريك . . والصغر ضد الكبير . . ويقال لصبى من صبيان العرب اذا نهى عن اللعب : أنا من الصغرة ، أى من الصغار ، وأرض مصغرة نبتها صغير لم تطل ، والتصغير للإسم والنعت يكن شفقة وتحقيراً ويكون تخصيصاً^(١) وقد قال الله تعالى فى مناسبة الدعاء للوالدين بالرحمة جزاء تربية الولد صغيراً: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾ الآية ٨ سورة العنكبوت . أما الغلام لغة فى المصباح المنير: فهو الابن الصغير، وجمع القلة غلمة بالكسر ، وجمع الكثرة غلمان يطلق الغلام على الرجل مجازاً ..

والولد: بفتحتين كل ما ولده شئ ويطلق على الذكر والأنثى والمجموع . . ويقال للصغير مولود ويطلق على الذكر والأنثى والمجموع . ويقال للصغير مولود لقرب عهده من الولادة ولا يقال ذلك للكبير لبعده عهده عنها^(٢) . وقد ربطت العرب قديماً بين صغار الإبل (دردق) وصغار الانسان ، وقد دعى الأعشى إلى وائمة فقال شعراً فى آل الملق:

نفى الذم عن آل الملق جفنه كجابية الشيخ العراقى تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل (دردق)

وتدور مادة (بنى) فى اللسان بين معانى البنوة ، قال الزجاج، (. . ابن كان فى الأصل بنواً أو بنوة ، وجمع الابن أبناء، وجمع البنات بنات والبنوة مصدر الابن يقال: ابن بين

(١) اللسان ، نفسه .

(٢) المصباح المنير ، ص ٥٧١ .

البنوة ، وفى التتريل الحكيم: من سورة هود(هؤلاء بناتى هن أطهر لكم) وقال لبيد فى معنى الشرف:

وقال عمرو بن كلثوم فى معلقته :

إذا بلغ الفطام لناصبى تخر له الجبابر ساجدينا (١)

فالصبى هو المولود حتى البلوغ والغلام : الصبى من حين يولد الى أن أن يشب (٢)

الآداب والطفل :

كان الأدب - وما يزال - هو الذى يصور حقائق النفس البشرية بأسلوب تعبيرى جميل ، فالأدب سجل للأفكار وعرض للمشاعر ، وبواسطة الفنون الأدبية يكشف الانسان عن خلجات النفس الانسانية بكل آمالها وآلامها ، كما تردد مفهوم الأدب بين الأجيال ليعبر كذلك عن الخبرات والمعارف الآداب الحسنة ، التى يلقتها الآباء للأبناء ليواجهوا الحياة ويسلكوا فيها سلوكاً محموداً ، وهى نظرة أخلاقية تعنى المنفعة والمتعة وتحمل كثيراً من معانى الحياة التى تنتظمها أحد وظائف الفن والابداع جميعاً ، فالنتاج العقلى المدون فى كتب هو من المعانى الشائعة للأدب فى العصر القديم ، أى من زمن الجمع والتدوين (القرون الهجرية الثلاث الأولى) أما المعنى الخاص للأدب قديماً فيدل على الكلام الجيد الذى يحدث عند تلقيه لذة فنية الى جانب المعنى الخلقى . وفى ذلك كتبت التصانيف وظهرت التأليف ونظمت الأشعار الدالة حول تلك المفاهيم التى تدور حول معانى الأدب ، ويقول الشاعر المخضرم سهرم بن حنظلة الفنوى:

لا يمنع الناس منى ما أردت ولا أعطيهموا ما أرادوا حسن ذا أدبا

أى أنه يهذب النفس بنتاجه ويخاطب الوجدان بروائعه ، والأدب أيضاً (ومعه معظم المعارف الانسانية الكبرى التى تمس الشعور والوجدان : تتمرد على المادة والتجسيم . . . تأبى أن يكون لها ، تعريف جامع ومانع ، وأن الوسيلة الى معرفتها هى الحس والشعور وليس العقل والمنطق والتقنية) (٣) فالأدب - بمفهومه الفنى الحديث والمعاصر - يختلف عن

(١) اللسان ، لابن منظور ، مادة بنى ، ص ٣٦٢ - ٣٦٤ .

(٢) المعجم الرجيذ ، مجمع اللغة العربية ، ص ٥٤ - ط القاهرة د . ت .

(٣) تلوق الأدب طرقه ووسائله ، د . محمود لغنى ، ص ١٦ - ٢٢ ط الانجلو المصرية .

مفاهيم عديدة التصقت به عبر تاريخ الأدب العربى ، لغة واصطلاحاً مثل معانى التأديب ، والأدب ، والمأدبة ، وتهذيب الخصال ، واصلاح السلوك واكتساب العادات الحميدة وهو فى النهاية مجال تعبيرى مكتوب له فنونه النثرية والشعرية ... مجال رحب محبب الى النفوس ، ويستأثر بالقلوب ويستهدف تنمية الوعى والشعور والأحاسيس ، وهو مع ذلك كله علم من العلوم الرئيسية التى لاغنى عنها فى كل أمة فى أعز مآلديها اللغة وأدائها وما يدور حولها من تأصيل وتحديث أو توجه .

ومن المعلوم أن الفروق ظاهرة بين لفظة الأدب وتطور معانيها - كما المحنا سابقاً كما أن معنى كلمة الأدب يختلف من فرد الى آخر اختلافات بعيدة ، اذ يختلف الأدب فى مفهومه عند الفرد الواحد تبعاً لاختلاف تطوره الزمنى والعقلى ، كذلك يثار الجدل الفكرى فى كل مجتمع حول الأدب ووظيفته وما ينشأ عن ذلك من توليد لمذاهب او نظريات أو أنواع أدبية تعبر عن فلسفة الأدب ومفهومه فى فترة ما وفى أدب أو آداب مختلفة ، ومن ثم تتطور أو تتغير المذاهب والنظريات حول الأدب ويبقى مفهوم الأدب فى الوجدان الفردى الجماعى من خلال انعكاسات النتاج الابداعى المكتوب ، وغاية ما يمكن أن نقوله أن الأدب فوق كونه أحدهم الفنون التعبيرية الجميلة باللغة ، وهو علم له أصوله وقواعده ومذاهبه وغاياته ، فلا يوجد الأدب بدون الاستعمال اللغوى باعتبار اللغة أداة ضرورية لنقل الأفكار والمشاعر ويتطلب فى الأدب تعقيد هذه الوسيلة الضرورية وتنظيمها وتطويرها خلال بناء مبدع النص الأدبى ، ويحسم المعنى الدلالى لألفاظ اللغة فى النص الأدبى المقاصد التى يثيرها الأدب عند القارئ ، فالقارئ يستقبل المفهوم العام للأدب ثمرة (جاهزة) للتمثل والهضم (عناصرها اللغة ، وقواعدها الاطار الشكلى ، والبيان الى آخر الاطر البلاغية والجمالية) . ومهما يكن من شئ فإن الأدب كفن ابداعى خلاق ينهض بالأدوار الايجابية من خلال التناول الأدبى لقيم الحق والخير والجمال .

وقد أحسن الرسول الكريم ﷺ بأهمية الأدب وعمق تأثيره فى الحياة والأحياء فأقام للشعر منبراً فى المسجد ، كما قال عن شاعر الدعوة الاسلامية حسان بن ثابت: انه ينطق بروح القدس، كما قال أيضاً :

(ان من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحراً) وفى الحديث النبوى الشريف ما يؤكد الاهتمام بالأدب بعامة والشعر بخاصة قال رسول الله (ﷺ) . إن من الشعر لحكمة ، فإذا لبس عليكم شئ من القرآن فالتمسوه من الشعر فإنه عربى^(١) ورأى العلامة عبد الرحمن بن خلدون أن الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف^(٢) بحيث يشمل مفهوم الأدب العلوم الدينية وغير الدينية ، فالأدب يجمع عنده: "اللغة والنحو والبيان والأدب . . . وثمرته الإجابة فى فنى المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، ثم أنهم اذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف . إذاً فالغاية من وراء تتبع مفهوم الأدب فى تراثنا العربى وفى معانيه الحاضرة هو التأكيد على وجود علاقة وثيقة بين الادب والانسان أينما وجد وحيثما ارتحل ، والأدب لازم الانسان منذ أدرك وأحس وابدع فكانت فنون الأدب متعته الوجدانية وما تزال .

والحضارة الاسلامية توجه الحس البشرى للجمال توجيهات تتضامل أمامها مقاصد النظريات المتغيرة بزوال أصحابها ؛ لأن شمول النظرة أبرز ما يميز الحضارة الاسلامية فالفن الصحيح الخالد هو الذى يهيب اللقاء الكامل بين الجمال والحق فى هذا الكون ، والحق هو نورة الجمال، ومن هنا يلتقيان فى القمة التى تلتقى عندها كل حقائق الوجود^(٣).

ومما لاشك فيه أن هذا يدلنا على مدى ارتباط الأدب بالرؤية الحضارية السائدة أو المتغيرة فى المجتمع وهو كذلك تصوير كامل للعلاقة الترابطية بين الانسان والكون ، هى رؤية وجدانية عميقة تتجاوز الواقع الخارجى الى انعكاسات داخلية تترجمها السلوكيات والقيم والأخلاق والخبرة بمواقف الحياة ، والأدب أو الفن برؤيته الشاملة فى توجيه الحس البشرى يطمع الى (تحويل الواقع الخارجى الى وجدانية باطنية لكى تتحول تلك الحالة الوجدانية بدورها الى سلوك خارجى)^(٤) ومن المعلوم أن السلوكيات ترتبط بمعطيات التنشئة بعامة وأساليب التنشئة والتكوين عند الطفل بخاصة ، ومن ثم يتأثر الأدب الوجدانى بسائر أساليب التنشئة الاجتماعية ، إذ يتأثر بالوجود الاجتماعى ويؤثر فيه بدوره ، ويعمل الأستاذ أحمد أمين فى كتابه : (ضحى الاسلام) صدق النظرة الشمولية فى الحضارة الاسلامية لتوجيه الحس البشرى بالتركيز على أصول التنشئة وفى الأخذ بأسبابها فيذكر :

(١) مدخل الى الأدب الاسلامى ، د . نجيب الكيلانى ، ٤١ ط ١٩٨٧ م .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، القاهرة ، دار الشعب ، ص ٥١٤ - ٥٢٢ .

(٣) منهج الفن الاسلامى ، محمد قطب ، ص ٦ ، دار الشروق .

(٤) الرؤية الواحدة ، مقالة للدكتور زكى نجيب محمود ، جريدة الأهرام القاهرة ، عدد ١ / ١٩٨١ .

(. . يقول النبي ﷺ أنا أفصح العرب، بيد أنى من قريش، ونشأت فى بنى بن بكر).
لقد كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان فى النطق ،
واحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما فى النفس ، فاذا امتازت قريش بالفصاحة ، فقد
امتازت بنو سعد بسلامة اللغة، فجمع النبي ﷺ الأمرين^(١) ولأهمية الأدب نشره وشعره فى
تنشئة اطفال المسلمين غداة الفتح الاسلامى بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكتبه الى ساكنى
الأمصار يقول :- (أما بعد . . فعلموا أولادكم السباحة والفروسية وروهم ماسار من المثل وما
حسن من الشعر . .)^(٢) وكان (المؤدبون) لدى الخلفاء والأمراء من ادباء وعلماء يهذبون أبناء
الخلفاء والقادة ويقومون بقدر هام من الأدب الوجدانى فكان يشمل تأديبهم بمعناه التهذيبى
المثل والحكمة والشعر وأيام العرب وأخبارهم ، ويعد هذا الاهتمام المبكر بأدبيات الطفل
خطوة واعية فى بناء العقل وترقية وجدانه من زمن بعيد . إن اتساع مخيلة الطفل العربى
وتنمية معارفه والارتقاء بمداركه بتنمية الحس الجمالى عنده هو جماع ما يستهدفه الأدب من
بناء الانسان . . أيضاً هناك تهيئة الحواس للتفوق والتخيل وبث مثيرات الانفعال الايجابى
بالأدب ومن ثم يتحقق السرور والمتعة والمنفعة . إن أدب الطفل فى التراث العربى - له وجوده
ودلالاته - فقد فطن علماء اللغة وادابها - من المؤدبين - لأهميته ، برغم عدم الاصطلاح أو
اطلاق التسمية" أدب الطفل" كنوع ادبى مستقبل له قواعده ومناهجه بين أمهات كتب الأدب
والنقد .

ومما لاجدال فيه أن نتاج ادب الأطفال الموروث فى اطار الأدب العام يشكل الارهاصات
الأولى لتتبع نشأة أصوله التراثية وبالتالي امكانية تأصيل مثل ذلك النوع الأدبى فى الأدب
العربى وهو فى ضوء ماقدمنا أنفاً جنس أدبى مركب يجمع بين العقل والوجدان له جذوره
الأدبية المتفرقة والمتشعبة فى سائر انتاج الحضارة الاسلامية ، على عكس التصورات
السائدة بين بعض كتاب الطفل من تغليبهم للكتابة المعرفية والثقافية والتاريخية على
الجوانب الابداعية - والأخيرة - هى فيما نطمح اليه ، المهمة الأولى فى ترسيخ أدبيات
الطفل، إن أطفالنا بحاجة الى الأدب كعلم فى مناهجهم ومناشطهم كى يرقى بوجداناتهم

(١) خصى الاسلام . أحمد أمين ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٢) البيان التبيين ، الجاحظ ، ص ٩٢ .

قدر اشباع حاجاتهم التعليمية والصحية والغذائية ، فهم صفحاتنا البيضاء التي نستطيع الكتابة فوقها عن وعى ومعرفة وخبرة جمالية ، على نحو ما صنع أجدادنا الأوائل مع أطفالهم حتى صاروا من بعد القادة والعلماء والأدباء الذين أضاعوا الى القرن العاشر الميلادى - الرابع الهجرى ظلمات أوروبا .

إن الطفل أمانة ، وله علينا حقوق . . إنه " .. أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل مانقش وسائر الى كل مايمال اليه ... " (١) وهذا المخلوق البرئ عجيبة طبيعة ، تنتظر التشكيل السديد رعاية عقلية تسير فى نسق واحد مع الرعاية الوجدانية داخل المدرسة وخارجها ، يقول الشاعر العربى القديم فى ذلك :

إذا المرء أعيته المرؤة ناشئاً فمطلبها - كهلا - عليه شديد

وليس من شك فى ان الأدب ، وبخاصة الجانب اللغوى منه ، والذي ينمو مع الطفل تبعاً لتطور مراحل الطفولة المتدرجة يمثل القدرة المكتسبة ، فاللغة باعتبارها الوعاء الحضارى للمعاني وسلوكيات التفاهم والاتصال ؛ ايضاً تدخل فى اطار وظيفة الأدب ، بل هى احدى وظائف أدب الطفل؛ أى تنمية المحصول اللغوى قراءة وتحديثاً وكتابة .

ونحن نستقرئ الأصول التراثية والتغيرات الحضارية المعاصرة سنجد أن التراث العربى حمل الينا عبر تاريخه الادبى الطويل الأصالة ، والتطور فى (الأنواع) الأدبية: النثر وأبوابه، الشعر وفنونه ، وفى (الغايات) الأدبية ، والتي اصطلح على تسميتها من بعد بالوظيفة فى الأدب والفن (٢) . فللشعر فنونه ، وللنثر أبوابه، وللأدب (شعره ونثره) غاياته ومقاصده ومراتبه كذلك، وفى ضوء ذلك يتسم الأدب بامكانية التغير والتجدد فى اطار المتغيرات الحضارية ثمرة لاهتمام العلوم المعاصرة بالانسان.

يقول فى ذلك الشأن ابن قتيبة : (ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن

(١) تأديب الناشئين يادب الدنيا والدين ، لأبن عبد ربه الأندلسى ، تحقيق وتعليق ، محمد ابراهيم سليم ، المقدمة ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، د . ت .

(٢) الوظيفة Function اتجاه للربط بين الاثر الفنى ووظيفته جمالية كانت أم اخلاقية ونتيجة هذا الاتجاه أن أية صيغة أو محسنات لغوية لاتخدم وظيفة الاثر الفنى خدمة مباشرة ، نعتبر زائدة على الحاجة بل طفيلية : معجم مصطلحات الادب ، د . د . مجدى وهبه ، ص ١٨٤ ، ط بيروت ١٩٧٤ م .

ولأخص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره ، كل شريف (خارجى) فى أوله^(١) ولا يعنى أن التجديد فى الأغراض الأدبية أو استحداث جنس أدبى ما ، الانفلات كلية عن الاصول التراثية وإنما تجئ هذه الأغراض أو شلك الانواع مواكبة للتغير الحضارى الايجابى الذى يستلهمه شعورنا الجمعى ولذوق العصر الذى نعيشه ، لأن هذا كله رهين بالمحافظة على الجذور التراثية الأصلية فى أدبنا .

ومما لاشك فيه أن للشعر العربى أغراضه منها القديم الأصيل ومنها الحديث المتجدد ومن ناقلة القول سرد الأغراض القديمة فى الشعر من مثل : الحكمة ، المديح ، الفخر الرثاء ، العتاب ، الهجاء وغيرها . وبعد اتساع رقعة الحضارة الاسلامية والاحتكاك بالثقافات الاجنبية ظهرت مقاصد جديدة ، وأغراض متجددة كوصف المخترعات وظواهر الطبيعة مع الأحياء الى آخر الأغراض الشعرية ، أو الأنواع الأدبية الجديدة فى اطار التفكير الحضارى متجددة أيضاً على سبيل المثال لم يعرف أدبنا العربى الى القرن الرابع الهجرى - (فن الموشحات)، وفى اطار تجديد النثر والشعر بدأت تخبو عدة انواع مثل المقامات ، فن الموشحات والرسائل الديوانية ، كما خفقت أضواء وفنون "القوما"، والكان كان "والنوبيت" وفى المقابل استحدثت عدة فنون فى البيئة العربية ، فظهرت الأنواع النثرية والشعرية مثل الرواية بمعناها الفنى أو الغربى الحديث كذلك فن القصة القصيرة فى النثر، وفى الشعر الفينا المسرحية الشعرية تفتح باباً جديداً فى الأدب العربى بعامه، وفى المسرح الشعرى بخاصة ، وكما فطن الذوق العربى الى أهمية التجديد فى الاجناس الأدبية وهو فى لحظات التجديد الحضارية - كان يصدر - عن جذور تراثية تستلهم الشلك المعمارى الموروث مع تطوير الأنواع المتجددة لمعطيات الحضارة المعاصرة فى الشلك والمضمون ؛ ومنها (أدب الطفولة) .

لاجرم اذا - ان قلنا - أن أدب الأطفال كجنس أدبى متجدد نشأ ليخاطب عقلية و"أدراك" شريحة عمرية لها حجمها العدى الهائل فى صفوف أى مجتمع ، فهو أدب مرحلة

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج ١ ص ٦٣ ، ط دار المعارف ١٩٨٢ (والخارجى - الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم المحقق - المرجع السابق) .

متدرجة من حياة الكائن البشرى لها خصوصيتها وعقليتها وإدراكها وأساليب تثقيفها فى ضوء مفهوم التربية المتكاملة التى تستعين بمجالى الشعر والنثر

غير أن الشئ المهم فيما يتصل بهذا النوع الأدبى أنه ينشأ كما سبق وأن أُلحنا ، فى إطار تغير حضارى من ناحية واهتمام بكل مايتعلق بالانسان^(١) من ناحية أخرى وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن أى نوع أدبى يظهر زمن الحروب يسمى "أدب الجهاد" أو "أدب المقاومة" فالأعمال الأدبية أو الفنية التى تتجاوز فى أغراضها وتوجهاتها "الغرض التقليدى" كالرثاء أو التشبيب فى الشعر الى أفاق إنسانية محورها الانسان ، تحمل الأبعاد الإنسانية - هى أعمال تقتزن بتعدد أو تخصص الوظيفة الأدبية ، فادب الرحلات أو أدب الخيال العلمى أو أدب الاطفال هى : ألوان أدبية - تنزع بدورها للتعبير عن الانسان واشباع حاجاته فى إطار عمره وعصره

ودفعاً لتهمة الاقلال من شأن أدب الأطفال باعتباره نظماً شعرياً أو نثراً خيالياً فيمكننا القول بأن "المتعة" و"الفائدة" من الطبيعة التعددية لهذا اللون الأدبى كفيلة لدفع التهمة وردها الى أصحابها ، فأدب الطفل هو أدب موروث كما هو أدب الحاضر وأدب المستقبل لأنه أدب مرحلة طويلة من عمر الانسان وعلى أية حال، فإن الابداع المؤسس على خلق فنى، والذي يعتمد بنيانه اللغوى على ألفاظ سهلة ، مسيرة ، قصيدة غير حوشية تتفق والقاموس اللغوى للطفل بالاضافة الى خيال شفاف غير مركب ، ومضمون هادف متنوع كذلك، مع توفر القصر المقصود للنص الأدبى الموجه للطفل - كل هذه وتلك - عناصر دالة على اقترابنا من تحديد مفهوم أدب الطفل .

وتبقى مسلمة أساسية مؤداها توظيف العناصر السابقة بحيث تقف أساليب مخاطبتها وتوجهاتها "لعقلية الطفل" و"إدراكه" كى يفهم الطفل النص الأدبى؛ ويحسه ويتذوقه ومن ثم يكشف بمخيلته أفاقه ونتائجه ، ونزعم فى ضوء ذلك أن أدب الطفل لا يختلف عن ادب الكبار الا فى المستوى اللغوى^(١) للنص على عكس مايتضمنه عند الكبار من خيال تركيبى معقد ،

(١) تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الطبيعة الإنسانية ، فتعكس ، قيم الانسان وتخدم مصالحه وتفسر مظاهر الحياة من حول الانسان، ويبحث ادراكاته وابتكاراته ومراهبه ومعتقداته جميعاً .

أو ألفاظ جزلة أو معان تستغل على عقلية الطفل وإدراكه ، ومن الخطأ البين القول بأن مضامين ادب الأطفال (١) منفصلة عن أدب الكبار ، أم أنها نشأت منعزلة عن التيار الأدبي العام ، أو يظن أنها تقوم بمقاييس تختلف عن أدب الكبار (٢) . . فقد يختلف ادب الصغار عن أدب الكبار في تلك الأمور التي لا مفر منها من أن تختلف فيها "العقليتان" و"الأدركان" ومن ثم فنتاج ذهن من أدب الأطفال يستحق أن يواجه نفس المستويات من النقد (٣) .

وفي التراث الشعري نجد (٤) . أيضاً من المقاطع التي كانت تغنى للأطفال عند تلعيبهم أو تنويمهم ومن بين هذا التراث ما هو أغاني مهد ترنمها الأمهات لأطفالهن عند تنويمهم وأغاني ملاعبة يؤلفها الكبار للأطفال أثناء اللعب وقد أطلق مصطلح أغاني ترقيص الأطفال على هذا الموروث الشعري ويمكن العثور بين ثنايا الأدب العربي القديم على بعض الأعمال الأدبية التي يمكن أن تتوافق مع قدرات الأطفال رغم أنها في الأساس غير موجهة اليهم (٥) وفي خاتمة هذا الفصل نستطيع - مما تقدم - أن نصل الى مفهوم لأدب الطفل تمييزاً لهذا النوع الأدبي من النتاج الفكري الذي يكتب حول الطفولة ، إنه الابداع الأدبي الموجه (للطفولة بمراحلها) خاصة من سن ما قبل المدرسة الى نهاية الطفولة المتأخرة - وأشكال التعبيرية: المنظوم والمنثور من فن الأدب ويجب ألا يسيح خارج حدود دائرة الأدبي الى النتاج المعرفي العام .

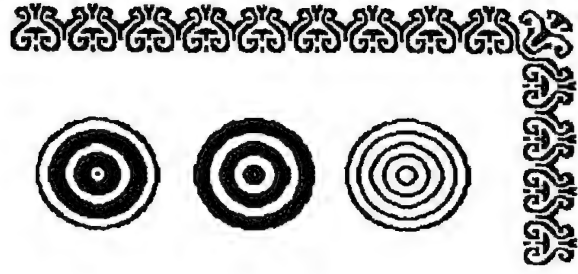
ويمكننا تحديد أشكال التعبير الأدبية في أدب الطفولة الموروث في ضوء ما قدمناه - آنفاً - أنه يقع في دائرتين : أولاهما: دائرة الشعر وتضم : الألهودات والأغاني الموزونة (أغاني الترقيص) ، وأغاني اللعب والمناسبات والأناشيد والأراجيز الشعرية ، والمنظومات الشعرية القصيرة والمحفوظات التعليمية والألغاز الشعرية ، والقصة الشعرية على لسان

(١) الطفل قاموسه اللغوي الخاص به ويزداد حجم الألفاظ اللغوية بانتقاله من مرحلة تلو المرحلة داخل مرحلة الطفولة البيئة المحيطة واستعداد الطفل ذاته النطق ، أما فهم الطفل للألفاظ (مقرومة ومسموعة فيقتضى معرفة ذلك نمو وتطور اللغة عند الطفل انظر نشأة اللغة عن الانسان والطفل ، د . علي عبد الواحد وأقر ، في فلسفة اللغة ، د . محمود فهمي زيدان ، ثلاث نظريات في نمو الطفل ، د . هدى قنارى ، قائمة الكلمات الشائعة في كتب الأطفال ، د . السيد العزائى ود . هدى براهيم ، وغيرهم . وقد تتبعنا هذه المؤلفات اللغة نشأتها وتطورها ، وفي الادب الاجنبية دارت أبحاث تشومسكى وجان بياجيه وغيرهما في جوانب منها لمجال علاقة اللغة باللعب والتمثيل والحركة عند الطفل .

(٢) في أدب الأطفال ، د . علي الحيدى ، ص ٦٩ ، الانجلو المصرية د . ت .

(٣) انظر بحث د . عبد العزيز المقالح لمؤتمر الأدباء العرب طبع وزارة الاعلام بالجزائر ١٩٧٥ م ومنه أن أعلنت الجمعية العلمية الملكية بانجلترا أن العلماء وتوصلوا الى نتائج هامة تتعلق باستجابة الجنين للنداء الصوتي المنبعث من أم الجنين عبر أجهزة ذات تقنية عالية الحساسية ، والمثير للدهشة هو التوصل لرصد استجابة الجنين للنداءات المواقعة ، والمنغمة ، المبهجة ، الهير الترييبين عدد ٢٠ / ٣ / ١٩٨٨ م .

الحيوان أما الثانية : دائرة النثر وتضم : الحكايات القصصية المتنوعة ، الحكايات على
اللسنة الحيوان والطير ، الأمثال والصايا ، (الأدب الحكيم) والأحاجى اللغوية . ان محاولة
بعض الكتاب المحدثين اقسام النتاج المعرفى(تاريخى أو ثقافى أو علمى) الى أدبيات الطفل
يعد هدماً للمفهوم اللغوى والاصطلاحى لأدب الطفل ، وأولى باصحاب هذا النتاج الفكرى-
وهو غزير متنوع - أن يدرجوه تحت مظلة تخصصات أخرى مثل ثقافة الطفل بمعناها
الواسع أو فروع العلم الانسانية والتطبيقية وهى جد كثيرة ومتنوعة
إن أدب الطفولة سيظل أدباً خالصاً بمادته وموضوعاته ومقاصده ، وإن استعانت به
الوسائل أو المناشط فى تربية الطفل أو تثقيفه ورعايته .



الباب الثانى

الفنون النثرية التراثية والطفل

- الحكايات القصصية .
- الأمثال الحكيمة والوصايا .
- الألفاظ والأحاجى .

وليس من شك أن صورة أدب الطفل فى تراثنا فى مجملها - صورة مركبة تتوزع بين الادبيين الرسمى والشعبى فبعض أشكال التعبير الموجهة للطفل من حكايات الادب الشعبى توارثتها الامة جيلا بعد جيل على السنة والامهات والريبات والرواة ، شأنها شأن الأغاني الشعبية للطفل فى مناسباته المختلفة .

لقد عرف الأدب الرسمى المدون نظام المقطوعات الشعرية وصحبها فى قالب الرجز قبل القصيدة المطولة ، وقد دون الادب الرسمى العديد من صفحات كتبه عبر تاريخ الادب العربى ، أغاني المهد وأغاني الترقيص ، والمقطوعات المجزوءة ، والاشعار البسيطة وغيرها من الأدب المكتوب . أما الذى ينقصنا فهو رصد وجمعه من بين ثنايا كتب التراث . أما استمرار وقوفنا عند منطقة الحذر والشك فى وجود مثل هذا اللون الادبى ، وبالتالى اهمالنا لتأصيله من أسباب تأخرنا فى متابعة تطور العلوم الانسانية المعاصرة ، والأدب بطبيعته يلزم الانسان طوال رحلته فى الحياة فى علاقة ترابطية .

ونخلص من هذا المدخل الى حقيقة هامة مؤداها ان أدب الطفل فى التراث العربى ، له جذوره ، ونتاجه النثرى والشعرى فى الادبيين الرسمى والشعبى ، وإن لم يحظ فى الماضى بمهمة بحث جوانبه وتوجهاته وتثبيت دعائمه فوق خارطة الادب بالدرس والتأصيل . لقد أهتم الادب العربى اهتماما كبيرا بالطفل ، وكان للأدب الموجه للطفل دوره الذى لا يقل أهمية عن الادب المكتوب عنه * ، اذا كان للأدب الموجه للطفولة والناشئة فى جميع عصور الأدب العربى دوره الحيوى فى تكوين الشعور الوجدانى للطفل ، فإن تأصيل العلاقة المميزة بين الأدب والطفل تقوم على مدى قدرة الفنون الأدبية فى التأثير على الطفولة كوسيلة وغاية لذلك تنأثرت أدبيات الطفل تنأثراً فى العديد من أمهات كتب التراث لتحقيق المفاهيم الوظيفية لهذا اللون الادبى ، فالحقائق التى تطالعنا فى الأدب العربى المدون هى وجود نتاج ادبى متنوع الاشكال والمضامين بين ثنايا كتب اللغة والادب والأخبار وغيرها ، وفى النثر وجدت القصص والحكايات وأحاديث السّمار والنوادر والامثال والالغاز والخرافات والأساطير ، وفى مجال

* الأدب المكتوب (عن) الطفل يشتمل على جانبين . أولهما: الدراسات والمؤلفات اللغوية والأدبية والفنية (الجمالية) حول الطفولة وثانيهما ابداع الكبار الادبى والفنى (عن) اطفالهم بخاصة والاطفال بعامة شريطة الاتوجه ابداعاتهم أساساً للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية ، أما الأدب المكتوب (للطفل) - مجال بحث هذا الكتاب - فيشمل الانتاج الادبى (الشعرى والنثرى) والموجه أساساً للطفولة بمستوياتها اللغوية والادراكية . ويميل المؤلف الى عدم الصاق المؤلفات التربوية والتاريخية والعلمية الى الأدب المكتوب (للطفل) أو (عنه) وإنما يكون تصنيف هذه المؤلفات بمجال ثقافة الطفل بمعناها الراسع .

الاشعار وجدت أشعار الترقيص ، والمنظومات التعليمية والتهذيبية ، والمقطوعات والاراجيز الخفيفة السهلة ، وهذه الاشكال والفنون التعبيرية تستهدف فى بعض توجهاتها الاطفال والناشئة ، وقد كشف المدخل السلبق عن مسلمة هامة فى تاريخنا الأدبى مؤداها أن أدب الطفولة كوجه مستحدث من وجوه الادب العربى لم يحظ بتقعيد تحت نوع ما من الأنواع الأدبية ، لأن الأجناس الأدبية كانت تجئ عرضاً فى كتب اللغة والأدب ، وقد عنى الرواد العلماء عناية فائقة بتسجيل وتدوين الأدب الرسمى - إبداعه ونقده - بينما تناثرت أدبيات الطفل فى بطون امهات الكتب دون ان يقردها لها المصنفون والنقاد ، الأجناس أو الأحكام الخاصة بها . وعدم التفات هؤلاء العلماء الى أدب الطفل فى نشأته وتطوره وفى أشكاله ومضامينه ، جعلنا نطلق على هذا اللون الأدبى - رغم تدوين أغلبه - نفس المفاهيم والأحكام المقاصرة التى يطلقها البعض على الأدب الشعبى وليس معنى ذلك أننا نقلل من الأهمية البالغة للادب الشعبى فى حياة الأمة ، فلا يختلف أحد على أهمية وسريان تأثيرات الأدب الشعبى فى أدب الطفولة ، وعلى الأخص فى الفنون النثرية بنماذجها المتنوعة من مثل الحكايات القصصية والشعبية والخرافية والاساطير وقصص الحيوان وأزعم أن الجانب الشعري فى أدبيات الطفولة يخرج عن دائرة مفاهيم وخصائص الأدب الشعبى ، وأعنى بالشعر هنا ، شعر الاطفال الذى يندرج تحت ادبنا الرسمى المكتوب أما الأغاني الشعبية المروثة للاطفال وأغاني العابهم ومناسباتهم وعاداتهم فهى من الأدب الشعبى . ويكاد يجزم المؤلف بأن عزوف الرواد والنقاد من علماء اللغة العربية عن تحديد المفاهيم أو الخصائص المميزة لأدب الطفل ، أو وصفه على الأقل كنوع أدبى له نتاجه الذى يخاطب الناشئة - يجئ هذا العزوف غير المقصود - نتيجة نظرة المجتمع العربى القديم تجاه الصغير ، فالصغير منذ القدم : الصغير من كل شئ حتى يشب عن الطوق ويكبر ، هذا من ناحية ، والعبقرية العربية التى شيدت دعائم الأدب الرسمى بفنونه ومضامينه وخصائصه وقواعده - غير عاجزة - بأى حال من الأحوال عن تقعيد القواعد ، ومن ثم التأسيس النقدي لهذا اللون الأدبى الذى يشكل وجدان أكثر من أربعين بالمائة من ثروة الأمة البشرية ، ومهما يكن من شئ فإن نظرة رجال النقد وعلماء اللغة والأدب للادب الشعبى كانت تسير فيما أعتقد فى

خط مواز لنظرتهم لأدب الطفل ، لأن هؤلاء الرواة والنقاد ورجال التدوين كانوا يرون أن النصوص * النثرية والشعرية الموجهة للأطفال والناشئة يقوم بها في الغالب الأمهات والجوارى والمربيات أو الوديون في بيوت الخلفاء والأمراء عن طريق التلقين والاستماع ومن ثم رأوها من الأدب الشعبي ، ويمكن بالتالي أن تنتقل هذه النصوص من جيل إلى جيل .

وقد جعل هذا التصور الذي أشرنا إليه يدفع أحد الباحثين العرب القول بأن ترقيص الأطفال الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا إنما هو أدب شعبي أصيل^(١) . وفي ضوء ما تقدم يمكن القول أن الأدب العربي - عبر عصوره المتتالية - قد تنبه في إطار رعايته للطفولة لنقطة البداية في التكوين الأدبي للطفل ، وكانت قاعدة البداية الأولى التي انطلق منها تتشكل إرهاباتها وأصولها التراثية عند محور: الفنون النثرية الموجهة للطفل . وقد اضطلع النثر بفنونه المتنوعة بمهمة التشكيل الوجداني والأخلاقي للناشئين عن طريق تلقينهم الحكايات القصصية بأنواعها ، والحكم والأمثال والمثورات القولية والتوارد والألغاز وغيرها باعتبارها من الوسائل الفنية النثرية الموجهة للأطفال بهدف تربوي وأخلاقي وجمالي ، وقد ظلت هذه الوسائل الفنية الأدبية تحمل في مضامينها الأهداف الوظيفية لأدب الطفل من زمن العصر الجاهلي إلى العصر الحاضر ، وإن كنا لانستطيع تحديد تاريخ معين تم خلاله تسجيل أو تدوين أي كتب تجمع مادة هذا اللون الأدبي أو ما يشير إلى نشأة النثر الأدبي الموجه أساسا للطفل في العصر الجاهلي أو قبل ذلك ، لصعوبة ذلك من ناحية أخرى ، كما أن عملية الانتقال الثقافي عملية تغيير متطورة ويتم من خلالها نقل الثقافة من جيل إلى آخر ، وهو ما يؤكد عليه العلماء الأنثروبولوجيا للأشارة إلى التراث غير المكتوب الذي تعبر عنه القصص الشعبية والأغاني والحكم والأمثال الشعبية^(٢) .

ومما شك فيه أن كتب التراث العربي حملت إلينا بين ثناهاها ؛ متفرقات مما تم تدوينه من فنون نثرية متعلقة بأدب الطفل ، وكان لتلك الفنون الأدبية وجودها في الجماعة وتأثيرها في الأمة . كما أشار القرآن الكريم إلى أساطير الأولين^(٣) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا

* من مثل . الحكايات القصصية (المسلية ، الخرافية ، والاسطورية والفكاهية والتعليمية والحكايات الشعبية والنوادر والأمثال والحكم والألغاز ، والأمهديات والناشيد والأغاني والأراجيز) وجميعها كانت تروى للأطفال بهدف التسلية والمتعة والمنفعة والتربية الوجدانية والتهديبية .

(١) مفهوم الأدب الشعبي ، د . كامل مصطفى الشبيبي ، ص ١٠٠ ، دائرة الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

(٢) قاموس علم الاجتماع ، د . عاطف غيب ، ص ١٩٠ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .

(٣) الاسطورة بمعناها اليوناني MYTH ومعناها في العلوم الانسانية LEGCOD عبارة عن "مأثرة شعبية تقوم على الأحداث التاريخية المتصلة بشخص أو حادثة ما وهي المعتقدات المشبهة أو المحملة بالقيم والمبادئ التي يعتنقها الناس والتي يعيشون بها أو من أجلها" السابق ص ٢٧٠ .

الأولين أشار القرآن الكريم إلى أساطير الأولين ، قال تعالى : وقالوا
أساطير الأولين أكتبناها فهي تملأ عليه بكرة وأصيلا» الآية ه سورة الفرقان .
وحكايات الأطفال بأنواعها لها جذورها في الأدب العربي الموروث و(القصص الروائي
الشفوي للأطفال يلعب دوره في مخاطبة حواس الطفل وحفز مشاعره وخياله ونحن لانستبعد
ما يقال من أن الوصيفات والمربيات كن يقصصن على الأطفال قصصا مبسطة . .
وهذا القصص يحتمل أن يكون هو نفسه ما ألقناه من حكايات الجدات والتي لاتزال متداولة في
بعض بيئاتنا ، وحكايات الجن والشياطين جوهريّة في تراث حكايات الجدات القديمة -
بداية لخط قصصى بلغ قمته في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومن أبرز امثله :
رسالة التوايع والزوايع لابن شهيد الأندلسى ، كما كانت قصص الحيوان التي بدأت شهرتها
مع كليله ودمنة التي ترجمها ابن المقفع وما صاحبها وتبعها من الملاحم الشعبية وقصص
ألف ليلة وليلة ، وحى بن يقظان وغيرها - مصدراً هاماً للأدب القصصى للطفل(١) .

وقد عرفت الأمة العربية الأدب القصصى منذ حققت وجودها ، بالكلمة والخبر وتطورت
الحكايات القصصية كشكل من أشكال التعبير النثرى تبعاً لتطور الحياة العقلية والاجتماعية
للأمة العربية .

وليس صحيحاً ما استقر في أذهان البعض من أن العقلية العربية تنزع بفطرتها الى
التجريد وتنأى بجانبها عن التجسيم فبرز مصطلح الحكاية في الأدب القصص وتزحزح عن
مجرد الاخبار بالواقع الى الايهام بحديث قديم مرت الدهور عليه أو واقعة في مكان بعيد .
ولا بأس من التوسل بالخيال لبلوغ التأثير المنشود . . كما برزت أيضاً كلمة خرافة لتدل
على الوقائع والاحداث غير المعقولة ثم اصبحت مرادفة لطائفة من حكايات الخوارق ،
ويستعمل المثل أيضاً للدلالة على نوع متميز من أنواع الحكايات والقصص هو الذى يدور
حول البهائم والطيور والذى تتخذ الكائنات صفات عاقلة مفكرة ومديرة(٢) . والرؤية التي أشار
اليها د. عبد الحميد يونس في الفقرة السابقة تجمع في طياتها التأكيد على وجود الفنون

(١) - الأنبياء والطفول ، د . محمود أحمد حمزون ، من ٩٦ رسالة الخليج العدد ٢١ ، السعودية ١٩٨٧ م .

(٢) الحكاية الشعبية ، د . عبد الحميد يونس ، من ٨ - ٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م .

النثرية فى الادب العربى منذ القدم ، وقد تطورت هذه الاشكال التعبيرية التى المح اليها تطورا فى الشكل والمضمون ، مع بقاء الفكرة الأصلية فى أشكال التعبير برغم خضوعها للتغيير بالحذف والاضافة ، لأن العنصر الاصلى فى الحكاية يبقى واحدا وتتفرع عنه العناصر البنائية عند إعادة القص او الرواية .

ومن نافلة القول التاكيد على مدى شغف الاطفال بالحكايات بأنواعها فقد توارث اطفال الجاهلية حكايتهم الخاصة بهم ، وانتقلت اليهم من جيل الى جيل، غير ان الجانب الرسمى فى المجتمع لم يلق بالأى الى هذا اللون من الفن القصصى ولم يقدره الكبار قدره ولم يلتفت اليه الرواة ، فظل محصورا بين جدران الخيام والمنازل والبور لا يخرج الى المجتمع ليكون تعبيرا عن مراحل التفكير والعواطف والخيال والمعتقدات للإنسان بل تناقلته شفاه النساء والأطفال فى حدوده الضيقة المحدودة^(١) ونخلص مما تقدم الى حقيقة مؤداها أن معظم الأنواع النثرية الموجهة للطفل فى الأدب العربى القديم ، دارت فى فلك الأدب الشعبى ، فأتسع تأثيرها بالتالى لتشمل سائر طوائف المجتمع ومستوياته وليس الاطفال وحدهم أو النساء فى حدودهن الضيقة المحدودة ، وائس لطائفة عمرية بذاتها Age- Set وقد ظلت مادة الحكايات - على تنوعها وتطورها بعيدة عن الأدب الرسمى المدون لعدة قرون ، فى الوقت الذى كانت تتناقل هذه المادة القصصية الجدات والامهات والمربيات والمؤدبون والمعلمون ، كما خضعت الاعمال التى قدر لها التكوين الى التعديل عن الأصل ، والتغيير غير مرة من جيل الى جيل .

إن عقل الطفل وأدراكه بحاجة الى مثل هذه الاجناس الادبية على تنوع مادتها وثرأ خيالها وسحر تأثيرها وإختلاف اساليب تشكيلها الفنى(ومثل هذه الحكايات المتنوعة فى الأدب القصصى تغذى جوانب تفكير الاطفال وتقوى نواحي الخيال عندهم ووسيلة من وسائل التعليم والتثقيف والمشاركة فى الخبرة ، وطريقا لتكوين العواطف السليمة ، والوطنية الصادقة للاطفال ، واسلوبا يقفون به على حقيقة العقيدة ويكتشفون مواطن الصواب والخطأ فى المجتمع ، ويتعرفون طرق الخير والبر فى الحياة)^(٢) والطفل يشعر بالمتعة وهو



(١) فى أدب الاطفال ، د . على الحيدى ، ص ١٩٠ .

(٢) السابق ، المقدمة .

الوجدانى الذى تتركه فى مخيلته من جانب آخر ومن هنا راح الرواة يقصون على الناشئين حكاياتهم القصصية ، والتي ازدادت تنوعا وخصوصية بتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة ، وفى ذلك يقول د . فؤاد حسنين يعد القصص من أهم الاجناس الادبية التى تعبر عن روح الامة وعقليتها وطبيعتها (قالامة منحت حظا موفورا من الخيال والقدرة على صياغة المادة المحيطة بها قصصا جميلا ، كما أنها تمتاز - كغيرها من عقليات الشعوب السامية- بإعادة تأليف القصص القديمة التى تتوارثها من أقدم العصور واظهارها فى ثوب يكاد يكون جديدا) (١) .

وتعد أيام العرب فى الجاهلية مصدرا خصبا صافيا من ينابيع الأدب ونوعا طريقا من أنواع القصص بما اشتملت عليه من الوقائع والاحداث (وما روى فى اثنائها من نثر وشعر، وما قدسى خلالها من مآثورا الحكم وبارع الحيل ، ومصطفى القول ورائع الكلام) (٢) . والفقرة الآتية تتضمن الإشارة الى أصل قديم من أصول التراث العربى يتضمن عدة اشكال من التعبير الأدبى - نثره وشعره - فأيام العرب حملت البذور الأولى فى تربة الأدب القصصى عند العرب وقد تأثر أدباء العصر الجاهلى بالبدائيات الاولى لعالم هذا اللون النثرى القصصى فالاسلوب القصصى (اسلوب الحكاية) اتبعه الشعراء فى معرض الحديث عن ذكرياتهم لدرجة الاقتراب من السرد ويبر الى عقوبة الشعراء وبساطتهم فى التعبير (وفى اشعار الهزليين يتضح الاسلوب القصصى فى الشعر خاصة عند الشاعر الهزلى وقد برع الشعراء الهزليون فى تمثيل قصص الحيوان وأصبح هذا الاسلوب شبه تقليد فنى عندهم) (٣) .

والتأمل فى تاريخيا الأدبى القديم يجد فى شئ من اليسر الطبيعية التعددية فى الأدب القصصى المدون منه ، والشعبي . والطفل وهو يتلقى هذا النتاج المتعدد أو شيئا منه فى مراحل طفوليته ، كانت النماذج القصصية المقدمة له عن طريق الأمهات والجداات والمربيات

(١) أيام العرب فى الجاهلية . محمد زحيد جاد المولى وأخريز : والمقدمة ط دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي شركاه . مصر د . ت . انظر المزيد من التفاصيل . تاريخ العرب القدامى للشيخ محمد فخر الدين ، بلوغ الارب فى احوال العرب للكرسى ، أمثال العرب للمفضل الضبي ، جبهة الامثال للعسكري مجمع الامثال للميدانى وغيرهم .
(٢) الحماسة لابی تمام ، شرح التبريزي ، ج ٢ - ١٨٥ .

القصصى المدون منه ، والشعبي . والطفل وهو يتلقى هذا النتاج المتعدد أو شيئاً منه فى مراحل طفوليه ، كانت النماذج القصصية المقدمة له عن طريق الأمهات والجَدات والمربيات أو الرواة القصاصون أو المؤدبون - يراعى فى تقديمها عقليته وإدراكه ، وقد طرأ على هذه الطبيعة التعددية فى الادب القصصى التجديد فى الأطر والموضوعات وبذلك استقر فى تاريخ الادب العربى عدة أنواع تندرج تحت الادب القصصى العربى : ايام العرب فى الجاهلية ، الحكايات القصصية المتنوعة ، الأمثال والحكم أو الوصايا ، الاساطير ، الالفان والاحاجى ، وسنقف فيما يلى عند بعض هذه الأنواع القصصية وفقاً لاستمرار فعاليتها وتأثيرها على الطفل ، وهو ما ستقدمه الصفحات التالية .

(الحكايات القصصية فى الادب العربى):

لجدال أن فن الشعر هو ديوان العرب وأبرز ميراثهم الابداعى ، ومع ذلك فإن التراث القصصى العربى من حكايات وأساطير يدفع الآراء القائلة بأن العرب أمه لا تملك الأساطير والحكايات القصصية الاصلية من وحى ابتكار العرب انفسهم وهذه الفرية التى يروج لها المستشرقون فى مؤلفاتهم دفها التقليل من شأن العرب وتاريخهم الأدبى . ويرد أحد علماء الاستشراق على هؤلاء فى حيدة وانصاف فيذكر : (وصل العرب بفن الحكايات الخاص بهم الى حد الاكتمال الفريد ثم هناك قيمة العبر الخالدة من حيث أنهم خلقوا عن طريق فنهم فى الرواية صوراً جديدة كل الجدة سواء من خلال تلك الحكايات التى نشأت عندهم ، أو عن طريق تلك التى أخذوها من الشعوب الاخرى) (١) .

يقول الراغب الأصبهاني فى كتاب : الذريعة فى أحكام الشريعة فى مستهل الباب الخامس والعشرين (الطفل فى حالة هيباء كالشمع تشكل بكل شكل يشكّل به) وقد أحس العرب بضرورة اشباع احتياجات اطفالهم الوجدانية والعقلية فى مراحل نموهم . فوضعوا لهم التأليف القصصية ، والحكايات الشعبية والحكايات الخرافية وغيرها من الحكايات التى تنور حول التسلية والاقناع والتعليم والتهديب وإيجاد علاقات مميزة مع البيئة أو الطبيعة المحيطة بالطفل ، وكذلك قصص الحيوان تلعب دورها البارز فى تاريخ الادب الموجه

(١) الحكاية الخرافية ، فريد شفن دير لابين ، ترجمة د . نبيلة ابراهيم ص ١٦٦ - ١٦٩ ، القاهرة ١٩٦٥ م .

الحس الجزئى إلى التجريد الكلى كما يدلنا على ذلك نتائج علم النفس الارتقائى ، فالطفل يولد معه الاستعداد الذاتى للاستجابة والاكتشاف ومن ثم يستوعب الشئ فى صفاته الشاملة لأن مشاعره وتصوراتهِ تزداد مع مراحل نموه وتمده بطاقة خيالية أروع من أى تفاصيل جزئية فى ضوء ذلك يمكن القول إن الطفل يتسجيب مباشرة للشئ الآخر أو الشئ المجهول الذى يجد فيه انعكاسا لذاته ولا غرو أن يكون عالم الحكاية الخصيب والمثير هو الأقرب الى عالم الطفل ، إذا الطفل صفحة بيضاء قابلة لما ينقش فوقها وهو فى حركة دائبة لاتهدأ الا بالانتقال من حركة الى حركة ومن خيال الى خيال آخر فى ترقب واستجابة للاستمتاع الخيالى والواجدانى فى الادب القصصى بعامة وعالم الحكاية بخاصة .

وكان للبيئة الطبيعية العربية أثرها الحاسم فى تربية الخيال لدى المبدع العربى والمتلقى كذلك ، فقد(عاش العرب فوق صحراء مبسوطة الرقعة مجلوة الافاق وفيرة الوحش والطيور فى جو صحيح الهواء وتحت سماء صافية الاديم ساطعة الكواكب ضاحية الشمس، سافرة البدر ، جلّت لحسه مناظر الوجود ، وعوالم الشهود فكان لخياله من ذلك مادة لايفور ماعها ، ولا ينضب معينها ، فهام بها فى كل واد وأفاض منها إلى كل مراد، وكان له من لغته وقصاحة لسانه أقوى ساعد ، وأكبر معاضد ^(١)ويقف د . أحمد ضيف من أثر الخيال - فى تشكيل العقل والوجدان العربى موقفا تحليليا يرد به تهمة غلاة المستشرقين بضعف الخيال وهو عنصر رئيسى فى الابداع - عند الامم السامية ، من ناحية ، ويؤكد وجود مزية الاستكشاف وحب الاستطلاع من ناحية أخرى فيذكر: (لقد تصور العرب فى جاهليتهم آلهة متعددة ونصبوا لها الأصنام قبل الاسلام ، وكانت لهم اساطير ، ولكنها لم تظهر فى شعرهم ظهرها عند الامم الاخرى كما تخيلوا لشعرائهم نفوسا أخرى من الجن توحى اليهم عبقريتهم وعدوهم أصحابا لكبار الشعراء ورووا عنهم الشعر ، اما ان كانت الامم سامية ذات افكار هادئة غير قلقة ، راضية بصدق وصحة ما ترى ، فهذا صحيح فى جملته ، لأنهم أقنع الأمم فى حب الاستطلاع وفى ضوء التعليل السابق(كانت القصص والأساطير فى المكان الأول من الحياة الادبية ، وأنها كانت الفن المفضل عند الغالية العظمى فى الجاهلية ^(٢) .

فالحكايات القصصية الخرافية والاساطير مادة ادبية ، كان لها وجودها فى تراثنا

(١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د . أحمد ضيف ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) فى الرواية العربية ، فاروق خورشيد ، ص ٥٤ .

القديم ، ويمكن ان تحتل مثل هذه الانواع الأدبية مكانا فى أدب الطفل المعاصر اذا دقق الكاتب والمؤدبون والمعلمون فى اختيار النصوص التى تناسب اعمار ومدارك الأطفال ، أو إعادة صياغة (معالجة) الحكايات الخرافية والاساطير لتحقيق الوظائف التربوية والجمالية واللغوية فى مجال أدب الأطفال ، وهذه المعالجة لن تفقد أصول الحكايات على ألسنة الحيوانات Fables أو الأسطورة Myth شيئا من مغزى أيهما أو روعة الخيال التصويرى فى سردهما . إذاً فالحكايات الخرافية أو الاسطورية على تنوعها قديمة(*) قدم الادب العربى، وقد وجدت قصص الجان الخرافية وقصص الحيوان فى الحياة العربية منذ عصر ما قبل الاسلام ، وقد تناثرت خيوط الحكايات القصصية وتعدد نسجها على السنة الرواة مشافهة جيلا بعد جيل أو تم تدوينها فى بطون كتب اللغة والادب والاخبار وأيام العرب ، وكان الكتاب والمربون يهدفون من وراء قص الحكايات الى عدة مقاصد منها الغاية الوعظية، وجلب السرور والمتعة لدى الأطفال وحفز خيالهم ، والحكايات تستهدف فيما تستهدف الأدب التهذيبى للطفل ايضا والأدب التعليمى فى إطاره النثرى من خلال الحكمة والمثل والقصص عن طريق الحكايات بأنواعها ، لأن الخيال الفنى فى مضمون القصص والحكايات والاساطير تصنعه من خلال الشخصيات والاحداث ، والفكرة أو الأفكار - تصنعه - شخصيات غير بشرية تحمل صفة الانسان وتعمل مثله ، وهذه الشخصيات غالباً ما تكون فى نصوص الحكايات العربية القديمة التى وصلتنا من الحيوان أو النبات أو الجن أو الطير إلى جانب البشر .

ومن نافلة القول التأكيد على أن هذه الحكايات الخرافية احتلت مكانا هاما فى حياة المجتمعات العربية ، خاصة فى بيوت الخلفاء والأمراء وفى أماكن التسلية واللهو ، وامتدت آثار هذه الحكايات الموجهة لوجدان الطفل إلى العصور المتتالية من أدبنا العربى القديم

* الحكاية الخرافية : قصة أحداث خيالية ، يقصد بها حقائق مفيدة فى شكل جذاب وينسب عليها مصطلح الخرافة الأخلاقية تبعاً للقصص الأخلاقية المروية على لسان حيوان . من أمثال كليله ودمثة ، انظر معجم الأدب ، د . مجدى وهبة ، صفحات ٢٦ .

* عرف العرب قصصاً تتناول بالتفسير الملمع بالبقايا الاسطورية ، الحياة والخلق ، فحكوا الحكايات من نشأة العالم وعن آدم ونسله وعن نشأة اللغات . . وعرفوا قصص الشعوب وقصص الأماكن قصص الملوك والابطال وتطورت بعد الاسلام الى حكايات واساطير موجهة ، وأشهر ماتم تدوينه كتب : (التيجان ومضامى مى ، والحارث ابن مضامى وقصة ذى القرنين فى الفترة التى سبقت ظهور الاسلام . وأيام العرب وبقائهم ملاحمهم وأخبارهم) (كتب اخبار ملوك اليمن) . انظر . فى الرواية العربية لغاريق خورشيد ، طدار الشرق ١٩٧٥

وحتى عصرنا الحاضر . إن موضوع الأدب الوجداني أو الأدب الحكيم ، اشتمل فى أحد روافده : القصص العربى القديم فى فترات تاريخية سبقت ظهور الاسلام ، وقد عاشت هذه القصص العربية الخرافية فى وجدان المجتمع العربى وقد كانت الحكايات القصصية بخاصة حكايات الحيوان Fabels فى الادب العربى القديم ، إما شعبية تشرح ما سار بين العامة من أمثال وحكم ووصايا أو مقتبسات من عصور قديمة وتتصل بالعقائد والطقوس أى ذات طابع دينى يتصل بالعقائد الدينية ، باعتبار الدين يتسم بالفطرة الوجدانية والافتتاح العقلى ، وقد حظيت المكتبة بمجموعة مؤلفات هامة فى هذا المجال *

مما سبق يتضح لنا وجود الأصول التراثية للحكايات فى أدبنا العربى القديم ، لكنه يجب الاعتراف بأن الحكايات المروية للأطفال كانت تعيش حالة على (خيال الكبار وتسير فى ظل الخيال تستلهم منه عناصرها ، وتتخذ من التراث الانسانى المصدر التى تأخذ منه مضامينها ، وصارت حكايات الاطفال كالجداول الصغير ينساب من فيض النهر الكبير، من قصص الكبار)^(١) ومهما يكن من شئ فان مفهوم الحكايات بأنواعها يطوف فى عقل الطفل بدرجة كبيرة ويفزع الطفل عندما يسمع أو تنطق أمامه كلمة قصة خرافية والتى تستحضر فى ذهنه صورة مدهشة ولا يمكننا تخيل مناهج التعليم المدرسى دون سماع الأطفال لقصص الخيال أو أن يخلقوا هم الأقاصيص من وحي خيالهم ، وقصص الحيوان تقوم بأدوار هامة ووظائف حيوية فى حياة الطفل كانتصار الحيوان الذكى صاحب الحيلة على الحيوان الغبى المغفل ولو كان قويا .

ومثل هذا القص يثير خيال الطفل ويستجيب لخاصيتين هما : حبه للحيوان وقدرته على إدراك المشابهات دون الدخول فى تفاصيل وجوه الشبه والاختلاف^(٢) ويرد الدكتور محمود ذهنى أسباب التقسيمات الفرعية أو بعبارة أخرى التقسيمات النوعية ، الفرعية التى طرأت على اللونين الاساسيين فى الحكايات وهما : الحكايات الخرافية المسلية (حكايات الجان) ، والحكايات على السنة الحيوان - يرد أسباب ذلك - الى طبيعة التطور فى خصائص الأدب

* انظر : أمثال العرب للمفضل الضبي، مجمع الأمثال للميداني ، جمهرة الأمثال للعسكري ، الامالى للقالى ، الحيوان ، ثمرات القلوب للثعالبي الاغانى للاصفهاني، المستطرف فى كل مستطرف للإشيهي ، عجائب المخلوقات للقرنيزي ، حكايات الحيوان الكبرى للدميرى ، تهذيب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ، وغيرها .

1) - Migs Cornelia, Acritical History of Children ,s Lieteure,P155 .

(٢) - اشكال التعبير فى الادب الشعبى ، د . نبيلة ابراهيم ص ٥٠ - ٥١ .

الشعبي من ناحية ، او الاتجاه التخصصي الدقيق للعلوم والفنون والآداب من ناحية أخرى ، وفي ضوء ذلك يذكر: (إذا كان الأدب الرسمي ادبا ثابتا يتطلب سلامة النص ، وتوثيق الأصل وصحة النسب ، فإن الادب الشعبي أدب متغير متطور ، لا يبقى على واحدة ، بل يتغير من عصر إلى عصر ومن مجتمع إلى مجتمع ، ومن بيئة إلى بيئة ، ومن مجال إلى مجال ، فالحكاية الشعبية مثلا قد يكن لها اصل مدون في كتب التراث ، ولكنها تحكى بطرق مختلفة متعددة تناسب كل منها زمن حكايتها والبيئة التي تحكى فيها ، وحال المتلقين . وتفسيرا لهذه الظاهرة يقول المتخصصون أن العنصر الاصلى في الحكاية واحد أو ثابت وتتغير من حوله عناصر الربط والشكل البنائي ، فينتج عنها عشرات الحكايات المتحدة في الفكرة المختلفة في الشكل وبالتالي مختلفة في الهدف)^(١) .

ولاريب أن أدبنا العربى عبر عصوره المتتابة من زمن العصر الذى سبق ظهور الاسلام الى الازمنة الحاضرة وما بينهما ، قدم مادة خصبة من الحكايات الاصلية فى تراثنا العربى، تعد من أغنى المصادر الادبية فى حكايات الجن والخرافة والاسطورة ، بحيث امتعت مضمونها الثرى المتنوع وبشخصياتها غير الطبيعية وغير البشرية الاجيال المتعاقبة من الأطفال العرب .

ومن أشهر الحكايات الباقية عن التراث العربى ، حكايات وقصص ألف ليلة وليلة ، وحى بن يقظان ، وأفكار وعناصر من مقامات بديع الزمان الهمذاني ، وكليلة ودمنة وغيرها من النوادر والأمثال الوعظية والادب الحكيم أو القصص المسلية . وقد تولدت موضوعات جديدة عن اصول تلك الحكايات العربية الباقية (فمن الموضوعات) التى أذاعتها ألف ليلة ومكنت لها فى عالم الأدب موضوع الرحلات ، ولقد أوحى قصص السندباد إلى كثير من كتاب الرحلات فى الغرب أن يؤلفوا عن رحلاتهم أو عما يتخيلون من رحلات. كذلك أحييت قصص ألف ليلة وليلة موضوع ادب الحيوان فأصبحنا نجد الكثير منه ، وخاصة فى أدب الاطفال والصبية ، وكذلك موضوع الأدب الحكيم، وكان الفضل فى ابرازه بصورة جيدة يعود الى قصص ألف ليلة وليلة^(٢) وألف ليلة من أهم المنابع الاولى فى التراث العربى التى تحوى فيما تحوى نماذج عجيبة ، وغريبة ومثيرة فى الأفكار

(١) الاطفال والادب الشعبي ، د . محمود ذهنى ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

مقالة بمجلة العربى الكويتية مارس ١٩٨٨ م .

(٢) ألف ليلة ، د . سهير القماوى ص ٧٤ - ٧٥ ، ط دار المعارف .

والشخصيات والسرد على السنته البشر والحيوان والطير والجن والشياطين وبساط الريح وغيرها ، وتضم أصول (الف ليلة وليلة) العديد من القصص الخيالية والطريقة والنادرة، وهى فى مجمل دلالتها الفنية تعبير عن الخيال الخصب فى الأدب العربى ، ولعلنا مازلنا نذكر الحكايات التى تم تداولها وتبسيطها للناشئين من كتاب الف ليلة وليلة مثل حكاية بساط الريح الذى جاب البلدان ، والجواد الخشبى الذى اذا فرك ، عرفه وصهل بسبب حكمة صنته التى صنع بها ، أيضا قصة عبد الله البرى وعبد الله البحرى ، وكيف أن عبد الله البرى استطاع أن ينزل الى أعماق البحار ويجوب فيها ويعرف خوافيها وغيرها من القصص التى قرأها الاطفال او استمعوا اليها مثل : على بابا ، عبد الله والدرويش ، الملك العجيب ، السندباد البحرى وغيرها . من مثل هذه الحكايات القصصية المثيرة والعجيبه يستمتع بها الطفل وتنمى خياله .

ومن الثابت ايضا أن الخيال القصصى ينمى لدى الاطفال المعرفة بالكون والكائنات، بالطبيعة ومفرداتها ، ومن ثم يتحول هؤلاء الاطفال بالتدرج الى الاقتراب من الحقيقة او الواقع ، من خلال الانغماس بين صراع الخير والشر فى المغامرات القصصية الخيالية التى تنقلهم من عالم محدود الى عالم متسع لحدود له ، فلا توجد قصة او حكاية بدون خيال . وفى ضوء هذا يمكننا القول بأن (القصص الخيالية تجعل الاطفال اكثر وعياً بالعالم ليس فقط عن طريق عقولهم بل عن طريق وجدانهم ايضا فهم لا يكتسبون المعرفة من خلال الاحداث والافكار الخيالية ولكنهم يتفاعلون مع الاحداث والظواهر فى العالم المحيط بهم)^(١) ونحن واجدون بالطبع فى بناء الحكايات القصصية صياغة فنية غير مألوفة للقصة أو الرواية بمعناها الفنى الحديث ، اذا الأصل فى الحكاية الخرافية أن تصوغ عالمها الفنى الخاص بها ، بأسلوب منعزل عن معطيات الزمان والمكان، عن طريق الأشياء غير المألوفة وباستخدام السحر والاثارة ، والتسطيح وحفز الخيال ، والبناء الفنى للحكاية يتناغم مع عقل الطفل وإدراكه وخصائص ومراحل نموه .

لذلك تحاول الحكاية بأسلوبها الانعزالي أو التجريدى خلق عالم اثيرى أجمل من العالم الواقعى وأكثر منه بهاء وتسليه وسحرا . إن أول شئ يسترعى نظرنا فى الحكاية الخرافية

(١) التربية الجمالية المعاصرة ، ف . ساخولونسكى ، ترجمة كاترين كالنسون من . ١٣٢٠ ، ط١ موسكو ١٩٧٧ م .

هو اتجاهاها الاخلاقي ، فهي تكافئ الخير بخيره والشرير بشره . وربما كان من المؤلف في الحكايات الخرافية أن الطفل البطل يظهر له في ساعة يأسه رجل ، أو امرأة عجوز تقدم له النصيح وتسدى له المعونة وقد يظهر له حيوان خير يتحدث اليه ويقدم له المساعدة اللازمة . .
إن بطولية الطفل ظاهرة تشيع في الاسطورة او الحكاية الخرافية والحكاية الشعبية على السواء .

وتحقق الانواع القصصية الموجهة للطفل في مضامينها المتعددة البناء التربوي المتمثل في الادب التهذيبي والتعليمي ، فقصص الحيوان حكايات قصيرة تهدف الى أن تنتقل معنى اخلاقيا أو تعليميا ، أو حكمة ، أو تنقل مغزى ادبيا ، وعادة ما تكون الشخصيات الرئيسية فيها حيوانات أو جمادات أو نباتات لكنها تحمل صفات الانسان وتعمل عمله ، وفي الواقع أن المكتبة العربية لها فضل الريادة في مجال تأصيل حكايات الحيوان من حيث التأليف والجمع .

ويعد كتاب ابن المقفع (٧٢٤ - ٧٥٩م) أشهر كتاب في الأدب القصصي على السنة الحيوان والطيور (. فكتاب كليلة ودمنة لمؤلفه الاصلى الفيلسوف الهندي بلباي ، يحتوى على حكايات وأقاصيص خيالية على أفواه البهائم والطيور لظهار الحكمة والتهذيب والتثقيف باستخدام وسيلة ادبية هي القص الخيالى الرمزي ومادة الكتاب تزخر بالأمثال والاحاديث الوعظية ، وتنطق بالحكمة في ثوب من السحر والخيال والتشويق)^(١) وقد تأثر بهذا الكتاب في مجال الاقتباس والمحاكاة معظم الآداب الاجنبية في العصور الادبية المختلفة . والآداب الاجنبية التي اقتبست الحكايات القصصية وحكايات الحيوان من الادب العربى مدينة في الأخذ بالمادة الموضوعية أصلا في كتب التراث مثل ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، والملاحم القصصية الشعبية ، وقد ألبس هؤلاء الاجانب المادة العربية الاصلية من فيض محاكاتهم واقتباسهم وفنهم فن التصرف * في مادة موضوعاتها ليلاثموا أنواقهم .

(١) أشكال التعبير في الادب الشعبى ، د . نبيلة ابراهيم ، ص ٦٩ - ٨٠
* تأثر لافونتين بكليلة ودمنة عن ترجمة جليير جولان ، كما تأثر دانتى في الكوميديا برسالة الغفران للمعري ، وما زالت ألف ليلة وليلة مصدراً لا ينقذ للاقتباس في معظم الآداب الاجنبية شأنها قصة حى بنى يقظان في الأخذ عنها ومحاكاة مضمونها والتأثر بها يبدو في آداب أكثر من لغة عالمية .

والذى لاجدال فيه أن الاصول الأولى للحكايات القصصية فى مجال الأدب الوعظى
التهذيبى أو الأدب الحكيم يعود الفضل فى ظهورها فى الآداب الاجنبية الى الجنور التراثية
فى أدبنا القديم من خلال النقل والترجمة .

ونستطيع استقراء فضل تلك الريادة من فقرة أوردها ابن المقفع فى صدارة كتاب كلیلة
ودمنة نقول:

(. أما كتاب كلیلة ودمنة فجمع حكمةً ولهواً ، فاختره الحكماء لحكمته والاعزاز للهوه ،
والمتعلم من الأحداث ناشط فى حفظ ما صار اليه من أمر يربط فى صدره ولا يدري ما هو ،
بل عرف أنه قد ظفر بمكتوب مرقوم . . . وأول ما ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف
الوجوه التى وضعت له ، والرموز التى رمزت اليه أى غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبته الى
البهائم وإضافة الى غير مفصّل وغير ذلك من الاوضاع التى جعلها أمثالاً^(*)) ونستطيع
القول فى اطمئنان أن المقدمة السابقة التى أوردها ابن المقفع كلیلة ودمنة تحمل غير الريادة
التي اشرنا اليها ، إظهار الحكمة على أقواء البهائم والطير - تحمل التوجيه الاخلاقى
والمعرفى للكبار والصغار فى أن واحد وبلون أدبى رمزى ويزعم المؤلف أن اختزان الاطفال
لمغزى حكايات وأمثال الكتابات عن طريق الحفظ هى نظرة تربوية تحمل التعليم والتهديب
كذلك ، وهو الذى قصده من عبارة المقدمة: (والمتعلم من الأحداث (الصغار) ناشط فى حفظ
ما صار اليه من أمر يربط فى صدره ولا يدري ما هو بل عرف أنه ظفر من ذلك بكتاب
مرقوم) وعناية الادب العربى القديم بالحكايات القصصية والخرافية وقصص الجان ، لم تأت
من فراغ ، بل نتيجة منطقية لتطور حياة الجماعة العربية العقلية والاجتماعية . فاخبار الهم
السابقة ، وذكر أيامهم ووقائعهم ، وتطور الخيال للبحث فى الكون - كل ذلك - أملى على
العرب ارماضات الاخبار والسرد والقصص ، ومن ثم تطورت الى ماثورات ومرويات وحكايات
تجمع بين المنفعة والتسلية ، وقد أحسن العربى بعمق فخلقه أنه فى بيئة خصبة تمض الى
جوار البشر ، الطير والحيوان فى ذلك الواقع المعاش وتنبه باعدال خياله الى الاعتقاد
بوجود كائنات أخرى لا يعرف كنهها . فهى عنده الجان والشياطين تارة . والملائكة والالهة
تارة أخرى ، وفى تراث الانسانية مرويات تجعل الحيوان أو الطير يتحدث بالانباء والخيال ،
كما ورد فى القرآن الكريم غير مرة - فى سياق السور - آيات تتحدث عن الحيوان

* كلیلة ودمنة ، لابن المقفع نقلًا من الحكيم الهندى بلباى ، ص ٦٧ - ٦٨ ط القاهرة ١٩٦٨ م .

والطير(**) ومن الملامح الدالة على ذيوع الأساطير فى البيئة العربية القديمة وجود الاساطير الطقوسية وأساطير الخلق أو التكوين ، وما واكبها من وجود الاسطورة الرمزية التى تحمل الرمز فى مضمونها ، ومؤداها أنه لما كان الانسان مازال يعيش فى جو اسطورى ، حول الالهة ، فقد خلع صفات العالم الانسانى على الالهة فأصبحت الالهة تتصرف تصرف الانسان أو اصبح الانسان يسلك مسلكا انسانيا من خلال الالهة .

وقد يقول قائل : ما علاقة الأسطورة وأنواع الأساطير بالطفل ؟ . . ومحاولة المؤلف للرد على هذا التساؤل يسيرة ، إذ الهدف من الاسطورة فى الغالب هو إعادة النظام للحياة فى مخيلة الفرد كما تقوم الاسطورة بوظيفتها الأخلاقية فى هداية الانسان وهى قبل تلك الغاية لتفسير الكون بظواهره لأنها تحتاج الخيال الذى لا يخلو من المنطق وقد عرفت الحضارات الانسانية - وعلى الأخص الحضارات الشرقية - العديد من النماذج الاسطورية ، قبل ظهور الأديان فأسطورة أوزوريس فى الادب الفرعونى القديم وأسطورة التكوين البابلية واسطورة جلجامش الاشورية من أنواع الاساطير التى سبقت ظهور الأديان . الامر الذى يؤكد مقولة برونسلايلىنوفسكى القائلة بأن (الاسطورة تقوم بوظيفة لاغناء عنها فهى تعبر عن العقيدة وتزكيتها وتقننها وتصون الاخلاق وتدعمها وتبرهن على كفاءة الطقوس وتضم قواعد عملية هداية الانسان(*)) إن شغف الطفل بالاستماع والاستمتاع بالحكايات الخرافية والاسطورية مسلمة من المسلمات عميقة الصلة بخصائص مرحلة الطفولة واحتياجها ما يساعد على حفز خيال الطفل وتنمية مداركه والتفاعل بالظاهرة المحيطة به ومحاولة سير أغوارها ، فالطفل مولع بالخيال ومحاولة ايجاد العلاقة بين الظواهر والاشياء غير المألوفة^(١) ولو يكن للحكايات القصصية أو الخرافية أو الاساطير وجود فارق خارطة الأدب العربى ما عاشت مثل تلك الفنون النثرية الادبية بين الاجيال تتردد وتدين ، بل وتستمر ينبوعا أصيلاً للمحاكاة والاقتراس فى الآداب الاجنبية ، على نحو استلهاهم الغرب لمضامين ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وحى بنى يقظان وغيرها من الحكايات القصصية المفيدة والعجيبة قصص الحيوان Fables وقصص المخلوقات المفيدة والعجيبة التى تضمنها كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى أو الحيوان للجاحظ ، والحيوان للدميرى ، أو فى السير والملاحم المثيرة

(**) سميت عدة من سور القرآن الكريم باسماء الحيوانات والطير وسيقت آيات تلك السور بغرض ايضاح معجزات الخالق فى خلقه ومخلوقاته ، ومنه حديث وادى النمل والنملة قال تعالى فى سورة النمل : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم "وقال عز من قائل من حديث الهدد الى نبي الله سليمان أحط بما لم تحط به وجئتكم من سبأ ينبأ يقين" ومن قوله "ورث سليمان داود وقال (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) ، والطير لا تتلق فقط بل تسبح لله وتصلى (الم تر أن الله يسبح له ما فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلواته وتسبيحه (الم يعلم بما يفعلون) الآية ٤١ سورة النمل .

* الحكاية الشعبية ، د . عبد الحميد يونس ، ص ١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ .
(١) انظر لمزيد من التفاصيل حول القصة : السيرة لابن هشام ، الاغانى للاصبهاني المستطرف للشيخ .

فى تتابع أحداثها ومعجزات أبطالها وعبقريه مضامينها وأشهرها فى الادب العربى السيرة الهلالية وسيف بن ذى يزن وعنترة بن شداد والاميرة ذات الهمه وغيرها .

وتكاد تتفق معظم الروايات أن أول من قص القصص وحدث بالحكايات فى الادب العربى مع ظهور الاسلام هو تميم الدارى وهو نصرانى أسلم فى سنة تسع من الهجرة ، ومن أشهر ما قص به من قصص خيالى قصة (الجساسة والدجال)^(١) وتحمل هذه القصة فى مضامينها النظر الجزئى والموضوعى للعقلية العربية ، ويمثل شكلها التعبيري إشراك الحيوان فى الحكاية وتروى قصة الجساسة والدجال "على لسان الدرارى" . . أنه ركب سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارتأوا أن يأووا إلى جزيرة فى البحر حين مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب سفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم "دابة" أهاب كثيرة الشعر فقال : ويلك ما أنت ؟ فقالت أنا الجساسة ، وسميت الجساسة لأنها تتجسس الاخبار فتأتى بها الدجال ، ومما يذكر فى هذا الشأن أن صورة تقديم الحكايات القصصية العربية كانت تؤدى على السنة الرواة فى الاسواق ومنتديات السمار وعلى السنة المربيات والجوارى فى بيوت الاغنياء قبل الاسلام ، ويظهر الاسلام كانت تؤدى الحكايات القصصية فى المسجد بالاضافة الى الاماكن التى ذكرناها ، وكان القصاصون الرواة يقولون مهمة القص من داخل المسجد والناس من حول القاص يتحلقونه ويستمعون الى ما يلقيه عليهم من قصص وحكايات وأمثال وأساطير ، وكان يضيف الى مادته ما يضيف عليها المتعة والمنفعة والخيال فكان "لايعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب" ومن المؤكد أن إدخال القاص لمفهوم الترغيب والترهيب فى الحكايات القصصية يمثل - غير النظرة العقيدية - تطور الشعور الجمعى والعقل العربى بأعتناق دين سماوى روحى يسمو بالانسان ويتجاوز جمود صراع الافكار البدائية الى صراع جديد محوره العقل والوجدان ، وينمى لدى الانسان الميل الى الاستقصاء والادراك وحفز الخيال .

(١) تعد المقامات العربية من مثل مقامات بديع الزمان الهمداني ، احد اشكال التعبير القصصى فالمقامة قصة مسجومة غالبا ، تشتمل على عظة او لمحة تؤدى بجمال قصيرة موحية ، منها هذا البيت من المقامة البصرية للهمداني :
يلوف ما يلوف ثم يارى الى زغب محددة العين
انظر . مقامات الهمداني ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط بيروت ، ١٨٨٩ م .

وقبل أن تنتقل من الحكايات القصصية والاسطورية^(١) التي أشرنا الى وجودها في أدبنا العربي القديم إلى أنواع أدبية نثرية لها أهميتها بالنسبة للطفل يجدر الإشارة الى أن كتب اللغة والاداب التي أشرنا اليها غير مرة تشتمل على وصف دقيق لنتاج خاص بالاطفال وتعرض صفحات عديدة لحكايات ومقطوعات وأخبار تدلنا على اهتمام العقل العربي بالطفولة ، كيف كان المؤدبون يعاملون تلاميذهم ويكافئون النابهين منهم ، ان استقراء تاريخنا الأدبي يعطينا حقيقة هامة في مجال أدب الاطفال وهي اهتمام العقل العربي بالانواع القصصية الموجهة للطفولة . وقد كتب تلك الحقيقة الاستمرار الى عصرنا الحاضر، فالقصة أو الحكاية التي تقدم للطفل هي لون أدبي رائد في المناهج التربوية وعلى ألسنة الأمهات المعاصرات الاثني يمهلن هذا الجانب فالحكايات القصصية تلائم طبيعة مراحل انتقال الطفل من مرحلة ما قبل المفاهيم (النمو الحركي والحس العقلي) الى مرحلة الخيال المنطلق ومن الخيال المنطلق الى مرحلة الاقترب من العلميات الفكرية المحسوسة (الواقع) . وفي قصة حى بنى يقظان ما يؤكد صدق تلك المقولة السابقة ومدى معرفة العقل العربي بأبعاد القصة وعلاقاتها بخصائص الطفولة ، فأبن طفيل في سرده لحي بن يقظان هيا خيال الصغير للادراك مع شعف بالاستمتاع ، فهو يرى بخياله الرائع أن الجسد الحى تتحكم في عناصر أربعة هي أساس وجود حى بن يقظان الذى نشأ نتيجة منطقية لتفاعل العناصر الأربعة في جزيرة طيبة الأرض والهواء معتدلة المناخ وما أن تكون حى بن يقظان حتى تتولى رعايته غزالة أرضعته من لبنها حتى شب وأدرك وأصبح عقله هو قائده الذى يرشده ويهديه ثم عرف من بعد حقائق الأمور المحيطة به الي أن ادرك الخالق جل جلاله . إن الاستقراء المفصل لحكايات ألف ليلة وليلة ، وحكايات كليلة ودمنة، وقصص الحيوان عند الجاحظ والقزويني والدميري وحكايات الخوارق ، وما تتضمنه عناصرها من أحداث وشخصيات وغرائب وعجائب وأفكار - يدلنا - على وجود مادة أدبية قصصية، لها خصوصيتها، وأثارها، ويمكن للمبدعين الذين يتوفرون على كتابة نوع أو أنواع نثرية في أدبنا العربي أن يجلوا صفحاتها ويعمقون توجهاتها من خلال إعادة المعالجة لأصول تلك النصوص الأدبية أيضا إمكانية تبسيطهم تلك الانواع الأدبية للطفل لأهمية تأثيرها الوجداني في نفوسهم وشخصياتهم إن ولع الأطفال المعهود بالحيوان والطيور يحفرنا

(١) انظر لمزيد من التفصيل حول القصة . السيرة لابن هشام ، الاغانى للاصبهاني ، المستطرف للاشبيهي .

لتقديم*المادة القصصية - مكتوبة ومروية - فى أشكال جذابة تجمع بين التسلية والمتعة والفائدة وصقل الخيال وحفز الادراك ، ومن نافلة القول الاشارة الى أن تقديم المادة القصصية للأطفال نقلا عن أصولها الأولى يتطلب التنقيح والتهذيب بما يلائم خصائص الطفولة .

إن تأثير الاشكال القصصية الموجودة فى التراث العربى يسهم فى التكوين الأدبى للأطفال ، عن طريق تبسيط أو معالجة أنواع الحكايات القصصية والأسطورية فى الأدبين الرسمى والشعبى وكذلك تقنية الأصول التراثية للحكايات بأنواعها وتتبع إنتقالها من جيل الى جيل ، وقد المحنا كذلك الى عمليات التعديل أو التبسط التى تمت على ألسنة الرواة والمعلمون والمؤدبون بما يحقق النظرة الوظيفية للأدب .

وعرفنا أن القصص الخيالى هو الذى يجرى - فى معظمه - على السنة الحيوانات والطيور والجمادات ويشترك الإنسان احيانا فى هذا اللون الادبى بطريقة غير مألوفة تتسم أحداثها وتفصيلها بخرق النوامس الكونية ، كما أن القصص التهذيبى أو التعليمى يهدف بطريقة مباشرة الى غرس القيم العليا الصحيحة ، والاخلاق الفاضلة ، والمثل السامية فى عقل ووجدان الطفل اما القصص الاسطورى والذى يعزى وجوده الى عصور سحيقة فكان يدور حول الجان أو الشياطين والمخلوقات الغريبة*وغيرها وأهم ما يميز هذا اللون القصصى قيام البطل الأسطورى بخوارق العادات ومواجهة الصعاب التى تعترضه من خلال تسلسل أحداث مثيرة تهدف الى إعادة تنظيم الحياة .

*يمكن الاعتماد على مادة حكايات التراث القصصى العربى باعادة تقديمها للأطفال بعد تبسيطها وتهذيبها بدلا عن استغراق الكتاب المحدثين فى الاقتباسات والنقل المتزايدة من الاداب الأجنبية بقيمتها الرفادة . ، وقد أقلت من تلك الاقتباسات الأجنبية كامل كيلانى من المحدثين وعبد القواب يوسف من المعاصرين ، فى فنية ملحوظة وريادة غير مسبوبة .

*درج نفر من الباحثين على ترديد مقولة غريبة مقولة غريبة مؤداها أن الأدب الامم السامية تتسم بعدم وجود النموذج الكامل للأساطير بسبب ضعف الخيال ، وتاريخ الادب فى الامم الشرقية يحض ذلك فكم من أسطورة وجدت عاشت بين الاجيال جيلا بعد جيل فى الحضارات البابلية والفرعونية والهندية والجاهلية لمزيد من التفاصيل ، راجع india Myths , Babylonian Myths Egypton Mythology , وقد اشبار كتاب الشرق فى مؤلفاتهم الى معرفتهم بعناصر الاساطير قال الشاعر العربى القديم

واعلم أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفى

والعنقاء طائر وهمى ، نادر فى معتقد الناس يرمز للخلود لدى كثير من شعوب العالم القديمة وقد ذكر العرب فى تاريخ آدابهم وفى آياتهم "العنقاء" وكان للعنقاء الطائر العربى الاسطورى أثره فى الاداب الأجنبية وسميت العنقاء بالشجرة العربية ، فقد ذكر العنقاء لدى شكسبير فى مواضع متعددة باسم الطائر العربى منها مسرحية "كما تهاوا" العاصفة وهنرى السادس ، "اضافة الى تكريس قصيدته "العنقاء والنواح لها" ويرد لها ايضا باسم الشجرة العربية ، لمزيد من التفاصيل انظر . كتاب الحيوان للجاحظ والعين للفراهيدى .

وليس بمقدور المؤلف المنصف وهو يرصد ظاهرة مادة أدب الطفل في تراثنا العربي ويتتبع وجود أشكالها النثرية والشعرية أن يسقط من بين ثنانيا كتابه عدة أنواع نثرية لها تأثيرها على الناشئين ، وقد كتب لبعضها الآخر التوقف عن المسير تبعاً لتطور الحياة العقلية والاجتماعية للأمة ، ومنها المقامات ؛ منقد مقامات بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨- ٣٩٨ هـ) أحد الأصول التراثية التي تزخر بالقصص والأمثال والحكم بحيث يمكن إعادة تبسيطها للأطفال لأن الأسلوب اللغوي ، نثره وشعره في مقامات الهمذاني يصعب فهمه وإدراكه من قبل الأطفال ويمكن لكتاب الطفولة إعادة المعالجة بالتبسيط دون أن تفقد أصالتها ومضامينها الفريدة ، أو وظائفها الأخلاقية .

الأمثال الحكيمة:

ومن الانواع النثرية فى الأدب العربى التى كتب لها الاستمرار الامثال والحكم والوصايا ، وهى انواع تنتشر مادتها الادبية فى الادبين الرسمى والشعبى ونحاول بيان علاقة تلك الانواع بالطفولة وتكوينها الأدبى .

الأدب الحكيم ، أو الأقوال الحكيمة من ماثور القول والحكمة والمثل والوصايا والعظات ، هى جميعا خير تعبير يمثل الرؤية الاخلاقية فى أدبنا الموروث وقد خاطبت هذه الألوان الادبية فى أحد مقاصدها وجدان الطفل وحواسه يمثل مخاطبتها عقله ومنطقه ، وقد لعبت هذه الألوان دورها الحاسم فى التكوين الأدبى للأطفال . ومما يلفت النظر أن الأدب العربى قد جعل محور أرتكازه بالنسبة لتكوين الطفل الأدبى من خلال الحكم والأمثال والمواعظ والماثور الشعري والنثرى من القول وذلك فى خط مواز لتعامل الأطفال مع الحكايات القصصية وما تتطلبه من نمو معرفى وجدانى لمتابعة الافكار والاحداث والخيال والمقاصد الاخلاقية . فقد قال الله عز وجل فى شأن كمال النبوة الاخلاقى «وإنك لعلى خلق عظيم» الآية ٤ سورة القلم .

وقال سبحانه وتعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) فالعتيد هو المهيأ والحاضر واعتد الشئ هياء وأعدده * فالنظرة الالهية للنبوة تتسم بالكمال الاخلاقى ، ولنا فى رسول الله (ﷺ) الأسوة الحسنة ، كما أن الأدب العربى فى أحد غاياته لا يفصل عن تلك الرؤية الاسلامية الشاملة ، فالأدب من هذا الجانب التهذيبى الاخلاقى يمثل (كل رياضة محمودة يخرج بها الانسان، والمحاكاة تكون بمزاولة الأقوال الحكيمة التى تضمنتها لغة أى أمة هو ما أودع نثرها وشعرها من نتاج عقول ابناءها وأمثلة طبائعهم ، وصور أخيلتهم ومبلغ بيانهم ما من شأنه أن يهذب النفس، ويتقف العقل ويقوم اللسان^(١) والعقلية العربية احتفلت بالطفل من زمن ولادته الى أن يشب ، فالأدب فى أحد مقاصده العربية رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغى أن يكون، وكان الطفل ينمو ويشب على القول الجميل والمنظوم والمنثور، والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهى التى قال الله عز وجل فيها : «ومن

* المعجم الوجيز ، ط : مجمع اللغة العربية ، ص ٤٠٥ القاهرة .

(١) الوسيط فى الادب العربى وتاريخه ، أحمد الاسكندرى وآخرين ، الملمة طبع القاهرة سنة ١٩١٦ م .

يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا» الآية ٢٩ ، وفى الحديث النبوى (أن خياركم أحسنكم أخلاقا) (١) .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام فى معنى استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة والبيان المؤثر : إن من البيان لسحرا . ومقولة على بن أبى طالب (علموا بنيكم أخلاقا غير أخلاقكم فأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم" مقولة لها مغزاها فى ضرورة حسن إعداد الطفل للمستقبل الذى ينتظر الأمة) (٢) وقيل (أن معاوية سأل عمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال أقلهم لفظا وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة ولم يكن فى ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم ﷺ وأفتخر به حيث يقول نصرت بالعرب وأتيت جوا مع الكلم ، وذلك أن كان عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعانى الكثيرة) (٣) .

وفى آيات القرآن الكريم من الحكم والأمثال وجوامع الكلم ، التى تجرى بين الناس هداية ووعاء للمعانى والقيم المحمودة ، من مثل : (ولقد آتينا لقمان الحكمة) و (حكمة بالغة فما تغنى النذر) و (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) و (قل لا يستوى الخبيث والطيب) . فالأدب الوعظى الحكيم يلعب دوره المباشر فى حفز مشاعر الأطفال ، والآداب القديمة تزخر بالحكم والوصايا ، وأشهرها ذيوعا وتأثيرا تلك التى يحدثنا عنها القرآن الكريم ﴿إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ الآية ١٣ سورة لقمان.

وما من شك أن شغف الأطفال بالمجهول وميلهم إلى حب الاستقصاء جعل الرواة وعلماء اللغة والأدب والمعلمون والمؤدبون يحفزون خيال الطفل العربى بالوقوف والتأمل عند تجارب الأمم السابقة كى يحصلون على ثمرة القول السائر والحكمة الباقية . وفى ذلك قال اكثم بن صيفى حكيم العرب (ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموها على خلق تدمونه) (٤) فالأخلاق المحمودة غاية وظيفية أحد وسائلها الأدب بمعناه التهذيبى العام ومعناه الأدبى الخاص كذلك ، فالقدرة المكتسبة التى يكتسبها الطفل من

(١) صحيح البخارى ، ج ١ باب الأدب .

(٢) المنهل ، ج ١٩١ ، السعودية ، ١٤٠٥ هـ .

(٣) المستطرف من كل مستطرف للإبشيى ، ص ٣٩ ج ١ .

(٤) نهاية الأرب للنويرى ص ٢٠٥ .

تأثير الانواع الادبية فى النفوس من أهم الدعائم الوجدانية التى تؤسس عليها الملكات اللغوية والادبية بين الناشئين (والعرب نظرتهم الفلسفية للكون ، وهى نظرة ذات طبيعة خاصة تنقسم بالجزئية والتغير . . وعلى أساس هذه النظرة تملكوا السنتهم)^(١) وهناك علاقة من نوع خاص تتعلق بالادراك لدى الاطفال ومدى فهمهم للحكم القصار والأمثال الحكمية- نثرية وشعرية - فالحكمة أو المثل من أقرب الفنون وصولاً إلى عقل الطفل وإداراكه بسبب قصر الحكمة أو المثل وأيجازهما من ناحية والبساطة فى الاسلوب اللغوى المستعمل من ناحية أخرى .

وهذا لايعنى أن الامثال والحكم التى وصلتنا عبر العصور الأدبية من تاريخ أدبنا العربى كانت فى جملتها رسالة ادبية موجهة للكبار فى المقام الاول من خلال خطبة أو عظة أو منظومة أورواية ونحو ذلك من وسائل الابلاغ أو التنوين ، ولكن الذى لاشك فيه أيضاً ، أن أمثال العرب وحكمهم لم تخل من نماذج نثرية أو شعرية يفيد منها الطفل ويستمتع ببيانها ، ومن الانصاف إذا القول بأن تأثير الامثال والحكم فى نفوس الكبار له ما يبرر تأثيره كذلك فى نفوس الصغار . وهذا يقرينا من تعريف المثل وتأثيره . فكلمة مثل تطلق على الحكمة السائرة ، وعلى الحكاية القصيرة ذات المغزى وهى مأخوذة لغة من قولك : مثل هذا الشئ ، ومثله كما تقول : شبه وشبهة فالاصل فى المثل التشبيه بواسطة الاداء اللغوى البسيط الموجز^(٢) .

والأمثال مرآة تريك صور الأمم وقد مضت ، وتقفك على اخلاقها وقد انقضت ، وهى ميزان يوزن به رقى الشعوب وأنحطاطها ، وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها ، ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا باباً إلا ولجوه ، ولا طريقاً إلا وسلكوه وقد أفردوا العلماء بالتأليف ، وأقدم الامثال الماثورة هى أمثال لقمان الحكيم(والمثل قول محكى سائر يقصد منه تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله والحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً سليماً وكما يكون كل منها نثراً يكون نظماً)^(٣) وفى الحديث : أن من الشعر لحكماً ، أى أن فى الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسف وينهى عنها ، قيل : أراد بها المواعظ والامثال

(١) فجر الاسلام احمد امين ، ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الوسيط فى الادب العربى وتاريخه ص ١٦ .

التي ينتفع الناس بها . .

ويرى أن من الشعر لحكمة ، وهو بمعنى الحكم وقد سمي الأعشى القصيدة المحكمة حكيمة فقال : (وغريبة تأتي الملوك حكيمة ... قد قلتها ليقال : من ذا قالها؟) والمثل لغة : الشيء الذي يضرب لشيء مثال فيجعله مثله ، وفي الصخاخ : ما يضر به مثل الأمثال . . وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومثال الشيء : شابهه^(١) . وفي غير موضع من سور القرآن الكريم وردت لفظة المثل ومنه : قول الله عز وجل : (يا أيها الناس ضرب مثلا فاستمعوا له) فإن آمنوا بمثل ما آمنتم ، به) ، (مثل الجنة التي وعد المتقون) .

ومما يلاحظ أن النوق العربي جعل الامثال الحكيمة والحكم القصار ترجمة شئون الحياة ، ووصف مظاهرها ، ورصد الخبرات المستفادة منها ، لذلك تعد الحكمة محورا للاستدلال العقلي ونقل الخبرة بين الاجيال وأشهر الحكم العربية الماثورة هي التي قال بها أكتف بن صيفي في الجاهلية والامام علي بن ابي طالب في الاسلام وغيرهما من حكماء العرب . وقديما اتفقت مقولة الالوى مع ابن رشيقي في أن العرب كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما ، وأطلقوا السنة وأفرهم إهاما أستتبع ذلك (أن حكمة العرب اشرف الحكم)^(٢) .

وعلى بساطة لغة الحكمة أو المثل فهما يطلقان الخيال للمعاني المقصودة من وراء ضربها ، وهو خيال غير تركيبى لا يعرف المبالغة والاغراق والتعظيم ، لأن الصورة الفنية في الأدب الحكيم تنتزع من شئون الحياة وخبراتها ، ومن الطريف أن توجد طائفة كثيرة ومتنوعة من الامثال الحكيمة نثرية وشعرية في أدينا العربي ، يدخل فيها عنصر الحيوان ، الامر الذي يعمق من مفهوم الادب التهذيبي على السنة الحيوان والطير ومدى صلاتهما المعهودة والمحبة الى عالم الطفل . وفي ضوء ما تقدم يمكن القول بأن "الادب التهذيبي" أو التعليمي في الامثال ينحو الى إفتراض من نوع ما يرمز الى واقعة أو ظاهرة في فترة زمنية من حياة المجتمع يكثر فيها الظلم .

ويميل المؤلف الى الرأي القائل أن الامثال الحكيمة الفرضية (تكثر في الايام التي يكثر فيها

(١) لسان العرب لابن منظور مادة حكم من ٩١ - ٩٢ هـ .

(٢) السند لابن شقيق ، المقدمة .

الجور والاستبداد والتضييق على الهداة والمرشدين ، فيضطرون إليها للوصول الى أغراضهم ، مع الأمن على حياتهم على ما فيها من الترويح عن المخاطر ، ولطف المدخل ، وجمال الفكاهة المطوية في تضاعيفها النصحية ^(١) ومن الامثلة الفرضية : فى بيته يؤتى الحكم . وهو محكى لسان الضب . ومنه ايضا : أحقق من عجل . وهو عجل بن لجيم وذلك أنه قيل له : ما اسميت قرسك؟ ففقا عينيه ، وقال سميته الاعور ، فقال الشاعر : ^(٢)

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم وأى امرئ فى الحقق أحقق من عجل
أليس أبوهم عار عين جواده فصارت به الأمثال تضرب فى الجهل

ومن الامثال الثرية التى ترتبط بحكاية أو طرقه مأثورة :

- رب رمية من غير رام .

- ما يوم حليلة بسر .

- مكره أخاك لا بطل .

- سبق السيف العدل .

ومن الامثال الحكيمة المنظومة :

لاتقطعن ذنب الافعى وترسلها ان كنت شهما فاتبع رأسها الذنبا

ومنه أيضا :

أن ترد الماء بماء أوفق لا ذنب لى لقد قلت للقوم استقوا

ومنه كذلك قول ابو العتاهية :

والفقرذل عليه باب مفتاحه العجز والتوانى

ويقول : بشارد بن برد :

وليس عتاب المرء للمرء نافعا اذا لم يكن للمرء لب يعاتبه

(١) الرسيط فى الادب العربى تاريخ . واحمد الاسكندراني وآخرون من ١٧ - ١٨
(٢) محاضرة الابرار ومسامرة الاخبار لابن عربى ، تحقيق محمد مرسى الخولى من ١٥٣ ، ٢٢٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب

وقال طرفه بن العبد : كلهم أروع من ثعلب ، ما أشبه الليلة بالبارحة ، وديوان الشعر العربى كما هو معلوم ، تنتثر فوق صفحاته منظومات - غزيرة فى الحكم القصار والأمثال الحكيمة مما يمكننا من انتخاب ما يوافق عقل الطفل وإدراكه وهذا لا يتعارض مع شعر الحكمة كغرض أساسى من أغراض الشعر العربى الموجه للكبار وتبقى بطبيعة الحال الفروق فى التوجه واللغة لدى المثلثى.

ان استقراء الأمثال الحكيمة والحكم القصار يعطينا من السهولة فى الالفاظ وأعمال الخيال ، وذكر خلق العالم وقنائه وأحوال وصفات الخالق ، والافادة من مواقف وخبرات الحياة . فالحكمة كلمة جامعة تلخص نظرية أو مجموعة ملاحظات وتجارب المفروض فيها فيها أن يسلم بها الجميع مثال ذلك قول المتنبى :

من يهن يسهل الهوان عليه ما الجرح بميت أيلام

والمثل فى تعريفه وتمانجه التى عرضنا لها ، يتضمن الحكمة الذائعة منذ القدم وتنضمن ملاحظة عامة ، وغالبا ما تكون فى أسلوب مجازى من مثل : اليأس احدى الراحتين . المورد كثير الزحام . فالحكمة والمثل يكتب لهما الخلود والنقل بين الاجيال تدوينا ورواية نظرا لتداولها بين الناس وتميزها بالدلالة الموحية الموجزة . كثيرا ما تسمى الحكم القصار والأمثال الحكيمة بالمثل المتداول أو المثل السائر . ومن الثابت أن الجملة القصيرة الموجزة ، أو المقطوعات ذات البحور الشعرية الخفيفة المجزوءة أقرب الى عقل الطفل وإدراكه عن الجملة الطويلة المحملة بالخيالات البعيدة والألفاظ الحوشية المبهمة .

وأدب الأمثال والحكم فى النهاية له جذوره الضاربة فى أعماق تاريخنا العربى وقبل تدوين الحكم والأمثال العربية حفظ الموروث الشعبى أدب الأمثال والحكم على نحو ما نقلناه عن الآداب القديمة البابلية والكنعانية والمصرية والهندية وغيرها ، ولأهمية الأمثال فقد سارع العرب الى تدوينها منذ أواسط القرن الاول للهجرة ، إذ ألف فيها صحرار العبدى أحد النسايبين فى أيام معاوية بن أبى سفيان (٤١ - ٦٠ هـ) كما ألف فيها عبيد بن شريه معاصره كتابا آخر ، ويقول صاحب الفهرست أنه رآه فى خمسين ورقة وإذا انتقلنا الى

القرن الثاني وجدنا التأليف في الامثال يكثر : إذا اخذ علماء الكوفة والبصرة جميعا يهتمون بها ويولفون فيها ، وقد وصلنا من هذا القرن كتاب امثال العرب للمفضل الضبي ونمضى الى القرن الثالث الامثال لأبي عبيد القاسم بن سلام "ما تزال المؤلفات في الامثال تتوالى حتى يؤلف ابو هلال العسكري كتابه "جمهره الامثال" ويخلفه الميداني فيؤلف كتابه "مجمع الامثال" وهو يقول في مقدمته أنه رجع الى ما يربو على خمسين كتابا .

ومن يرجع الى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التي تسمى مثالا ، ولا يكتفون بذلك ، بل يقفون غالبا لسرد القصة والاسطورة التي تمخض عنها المثل وقد تتمخض عن امثال فتروى في تضاعيفها^(١) وقد أهتم علماء الاستشراق بالامثال العربية الحكمية وأبرز محاولة علمية في هذا الشأن قام بها المستشرق الالماني جورج فريتاخ (١٧٨٨ - ١٨٦١ م) حيث توفر على اصدار موسوعة كبرى بعنوان "أمثال العرب" في ثلاث مجلدات ضمت ثلاثة الاف وثلثمائة وواحد وثلاثين مثالا عربيا والاهم من اصداره الموسوعة هو اضطلاع به جهد علمي فائق رائد في ترجمة امثال لقمان الحكيم" إلى اللاتينية نقلا عن مخطوطه عربية موجودة بباريس^(٢) . فقد وجد مادتها الثرية تفيض بالفائدة وما تحمله من مقاصد أخلاقية وتعليمية ووعظية . بالرغم من أن كتاب فريتاخ "أمثال العرب" له فضل يذكر على المكتبة العربية فان عمدة كتب الامثال عند العرب هو كتاب مجمع «الامثال للميداني»^(٣) لأنه جمع مادة كتابه القيم بعد الرجوع لمطاب الامثال العربية الأولى، فجاء كتاب الميداني أغزر مادة وأقوى مضمونا في جمعه وتأليفه، وقد بلغ عدد الأمثال التي أوردها الميداني كتابه أربعة آلاف سبعمائة وستة وخمسين مثلاً عربيا، وهذا لا يقلل من دور التحقيق والترجمة اللذان قام بهما فريتاخ في تقديم لون أدبي عربي إلى الآداب الإنسانية.

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، د . شوقي ضيف ، ص ٤٠٤ ط دار المعارف ، د . ت .
(٢) وجدت مخطوطة أمثال لقمان الحكيم بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٧٥ وتقع في ١٤٤ ورقة بواقع ١٤ سطراً في كل صحيفة من المخطوطة ، ونظرا لأهميتها البالغة قام د . يوسف حبي بنقلها محققة عام ١٩٨٥ ، انظر امثال . لقمان الحكيم ، د . يوسف حبي ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٥ .

إن الحكم القصار والأمثال الحكيمة الموروثة تحقق الوظيفة اللغوية والأخلاقية باعتبارها وقفا على الأدب التهديبي والوعظي والأخلاقي، واستخدام الأسلوب اللغوي البسيط والموجز في تلك الأنواع الأدبية أدى وظيفته بحيث يتعامل الطفل مع اللغة في العبارة أو الجملة القصيرة الدالة وفي إيجازها الإيقاعي، وفي إطار هذا النمو اللغوي تعمقت في مخيلة الطفل العربي قدرات وملكات التذكر والتخيل الاسترجاعي، والاكتشاف والتعريف، والتعلم، والتجريد والقياس والإدراك والاستجابة الإيقاعية.

ونستطيع القول في النهاية أن اللطائف الحكيمة المروية من خلال قول مأثور بأسلوب المثل أو الحكمة من خلال قصة مروية على ألسنة الطير والحيوان، أو قصص خيالي، أو خرافي، تهدف جميعا عقل الطفل ووجدانه بما يحقق المنفعة والمتعة.

ومن الثابت أن وراء كل مثل من هذه الأمثال السابقة وغيرها من الأمثال قصة أو موقف أو طرفة، ومهمة كتاب الطفولة سرد تلك الأمثال الحكيمة في قالب فني معاصر يستفيد منه جمهور الطفولة بما يترسب في نفوسهم.

الألفاظ والأحاجي:

تهدف الأحاجي والألفاظ فيما تهدف إلى تعليم الأطفال والكبار معاً كيف ينتظرون إلى المشكلة من كل جوانبها؟، ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهي، ومن ثم فقيمة اللفظ أو الهدف من قيمة تعليمية وترويحية بغرض المنفعة والتسلية، كان الإنسان دائماً مفتوناً بالتشبيه التمثيلي منذ أمد طويل .. لقد أدرك أرسطو وجود علاقة بين اللفظ والاستعارة، فاللفظ يستخدم الأسلوب الشعري أو قيماً يقارب الشعر مثل القافية والإيقاع والجناس الاستهلاكي والتشخيص والرمز والاستعارة، وهذه الإمكانيات الأسلوبية في اللفظ تطورت به منذ القرن السادس الميلادي إلى العصر الحاضر تطوراً كبيراً، فالقياسات التمثيلية المركبة أو التشبيهات التمثيلية أكثر تعقيداً ومن إدراك عناصر اللفظ الأدبي يأتي بالطبع حله.

اللفظ لغة:

الألفوزة ما يعنى به من الكلام والجمع الألفيز، اللفز جحر الضب والفأر واليربوع. اللفز كلامه، وفيه عمى مراده وأضممر على خلاف ما أظهره ^(١) وفي اللسان: اللفز الكلام واللفز فيه: عمى مراده وأضممره على خلاف ما أظهره واللفز من كلام فحشه معناه، مثل قول الشاعر، أشده الغراء.

ولما رأيت النسر عز أبين دابه وعشش في وكره جاشت له نفسى.

واللفز في الأصل ^(٢) حجر ملتوى للضب والفأر واليربوع، والألفاظ طرق تلتوى وتشكل على سالكها وفي معجم الأدب ورد اللفز كمصطلح من مصطلحات الأدب بمعنى: صورة الشينين أو أكثر للتكنية عن كلمة، وكل صورة لأحد الشينين ترمز لجزء من هذه الكلمة ^(٣) وأفرد علماء اللغة العرب في كتبهم المعنى اللغوي لمادتي «لفز» و«رصيفتها» مادة حجا

(١) أشكال التعبير في الأدب الشعبي . د . نبيله إبراهيم ص ٣٢٥ - ٣٢٤ .

(٢) أشكال التعبير في الأدب الشعبي . د . إبراهيم ص ٣٢٥ - ٣٢٤ .

(٣) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ص ٥٥٩ .

فالحجا، مقصورة: العقل والفتنة وأنشد الليث للأعش :

إذ هي الفصن مiale تروق عيني ذي الأحجار الزائر

والجمع أحجاء قال ذو الرمة:

ليوم من الأيام شبه طوله ذو الرأي والأحجاء مقلع الصخر

وكلمة محجبة: مخالفة المعنى للفظ، وهى الأحجية والأحجوة، وقد حاجيته محاجة وحجاء: فاطنته فحجوته . ولا أحجية والحجيا أى بالأغاليط^(١) ويعرف الدكتور مجدى وهبة اللغز، والأحجية فيذكر: «اللغز، والأحجية: سؤال يتضمن أوصافا لشيء ما ويطلب من المخاطب تقييد ذلك الشيء بقصد الاختبار الذهني أو الترفيق، وله أنواع: منها ما يصف الشيء بعبارات ويطلب معرفة الموصوف عن طريق القياس أو المقارنة، مثال ذلك اللغز الذي حله الملك أوديب حينما سألته الأسفنكس، ما هو الشيء الذي يمشى على أربع فى الفجر واثنين ظهرا وثلاث مساء / والجواب هو الإنسان فى فجر حياته وشبابه وشيخوخته، ومنها ما يتضمن التلاعب فى حروف الكلمة بالحذف أو الزيادة مثال ذلك: كلمة إذا أهمل ثانيها كانت اسما لحشرة تخرج طعاما شهيا، وإذا أعجم ثانيها أصبحت علما على شجرة تنتج ثمرا جنيا. والجواب: النحلة والنخلة . ويرجع اللغز فى الأدب إلى عهد بعيد فتجده مستعملا مثلا فى الأساطير الآشورية واليونانية القديمة حيث تصور السنة مثل شجرة ذات اثنى عشر غصنا تذبل الواحد تلو الآخر، ثم ينمو من جديد، أو القطعة من نثير الثلج عصقورا ناصع البياض مجردا من الجناحين تزدرده فتاة مقطوعة اليدين (كناية عن الشمس) فيبدو إذن أن الألفاظ القديمة ذات صلة بالرموز والمجاز^(٢) والألفاظ ببناء وليست اختبارات أو قياس البراعة فحسب كما يبدو من الأسلوب التعبيري لشكل اللغز الظاهري، بل للألفاظ وظيفة أخلاقية وتعليمية شأنها شأن الأنواع الأدبية التى عرضناها فى هذا الفصل، وتأثيرها فى مرحلة الطفولة أقوى من أى مرحلة تالية لها فهى تحقق راحة نفسية وعلاج سلوكى غير مقصود للميول العدوانية التى تصاحب مرحلة الطفولة المتأخرة، فالطفل عندما يحل اللغز ويفك رموزه اللغوية يشعر بنوع من تقدير الذات يضيف للإنسان رغبة أو رغبات جديدة للاكتشاف والاستطلاع وبالتالي إلى حفز الخيال من الناحية الفنية؛ أى تدبر الواقع

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة لغز ، ص ٤٠٤٧ - ٤٠٤٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، مادة حجا ، ص ٤٨٢ .

الجمالى للفر.

والفر من الناحية الأسلوبية كثيرا ما يكون مرتبطا بالشعر الشعبى، فالفر قد يكون إيقاعيا جدا، أو شعرا مقفى. أو الاثنين معا، والوزن والقافية الشعرية قد يبرزان بتحليل فنى للعناصر المتقابلة أو المتضادة فى الفر، انظر مثال إلى الفر البسيط والشائع جدا الذى يقول:

(حز فرز . ما أقوله ... شئ كثير العيون ولا أنف له) فبالإضافة إلى القافية أو السجع، نلاحظ أن اللاحق بتكرار الكلمات فى السطر الافتتاحى تقليد لكلام الأطفال، وتستخدم لتأكيد التقابل أو التناقض الظاهرى فى السطر التالى. وليس من شك فى أن أرسطو قد فطن إلى العلاقة الوثيقة بين فكرة الفر من ناحية والاستعارة البلاغية (أسلوب الفر) من ناحية أخرى وفى ضوء ذلك يمكن القول بأن الألفاز ليست مجرد أحجية لفظية تطرح للتسلية والتسرية فقط وإنما يحمل الفر الوظيفة الأخلاقية التعليمية شأنه شأن الحكايات القصصية بأنواعها والأساطير والأمثال والوصايا والحكم، فالفر يمكن أن يحل مشكلة ما أو ينمى معلومة أو معلومات، ويؤكد على القيم الاجتماعية والأخلاقية فى المجتمع كما يقوم الفر بتحريك الذهن وتنمية الخيال بأسلوب نقدى ساخر، وأهم ما يميز الألفاز هو الأسلوب اللغوى البسيط فى غير تعقيد أو إبهام لفظى لأن الإبهام فى اللغز يكون فيما وراء الألفاظ التى يطرحها لا فى الألفاظ ذاتها، وبساطة ألفاظ الفر وسهولة تجمع بين الجملة الموحية الموجزة والاستعارة التمثيلية القريبة المعنى، وعندما تقترب لغة الفر من الألفاظ الدارجة فى لغة العامة يسمى بالفر الشعبى .

إن استمتاع الطفل بالقاء الفر المنظوم وانطلاق خياله نحو فك رموزه وحله يعدل درجة فائدة النمو اللغوى المكتسب: فى إيقاعه، وإيجازه ، ومن ثم يمكن أن يتوسع كتاب الطفولة فى إنشاء الألفاز اللغوية مما يحقق مكاسب النمو اللغوى والمعرفى عند الطفل^(١) وقد أفرد الأبشيهى صاحب كتاب المستطرف فصلا للألفاز فى كتابه (المستطرف فى كل فن مستطرف) نقتطف منه هذه الألفاز، وأهم ما يلتفت النظر فى أسلوبها اللغوى ومادتها

(١) معجم مصطلحات الادب ، د . مجدى وهبة ص ٤٨٢ .

الذهنية هو تحريك خيال الطفل وحفزه لإدراك مغزى اللفظ، كما أن الأسلوب الشعري المنظوم على بساطته يحقق مبدأ الإحساس بجمال اللغة، ومنه في غزال:

إسم قد هويته .. ظاهر في حروفه . فإذا زال ريعه .. زال باقى حروفه.

وفي دواة:

ومرضعها ولادها بعد ذبحهم لهب مالذ قط لشارب
وفي بطنها السكين والثدى راسها وأولاهما مذكورة للنوائب
وفي قلم:

وأهيف مدبرح على صدر غير يترجم غن ذى منطلق وهو أبكم
تراه قصيرا كلما طال عمره وضحى بليفا وهو لا يتكلم
وفي كتاب

وذى أوجه ولكنه غير بائح بسر وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالاسرار وجهه فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

وفي الموز :

ما اسم شئ حسن شكله تلقاه عند الناس موزونا
تراه معدودا فإن زدته وأوأنونا صار موزونا

وفي قيل :

أيما اسم تركيبه من ثلاث وهو نو اربع تعالى إلا له
حيوان والقلب منه نبات لم يكن عند جمعه برعاه
فيك تصحيحه ولكن إذا رمت عكساً يكون لى ثلثاه (١)

(١) المستطرف في كل مستطرف ، للأبشيبي ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ط دار الفكر د . ت .

واللافت للنظر أن الألفاظ والاحاجى - رغم ندرة - وتوزعها بين متفرقات الكتب لم تغفل الجوانب المحيية للطفل فهي تركز فى بعض نماذجها على عالم الحيوان بأعتباره عالم اثيرى لدى الاطفال، ويمكن للمبدعين المحدثين إيقاظ هذا اللون التراثى فهو "أنفع" وأمتع من الألفاظ العقلية المعقدة وألعاب الحسابات الآلية المستحدثة التى تنمى فى الطفل المادة على حساب إهمال الروح .

خاتمة:

تتبعنا الجذور التراثية لأدبيات الطفولة فى الادبين الرسمى والشعبى ، ووقفنا عند تحديد الاشكال الادبية (النثرية أو النثر / شعرية) التى تتفرع منه كجنس أدبى مستقل يتصل بشجرة الأدب الكبرى وقد أشرنا الى الحكايات القصصية فى الأدب العربى القديم ومدى عمق الصلة بين الادبين الرسمى والشعبى فى هذا الجانب ، وعرفنا كذلك أن المربيات والجوارى والامهات والجدات كن يقصصن الحكايات وهن يجلسن ومن حولهن الأطفال وقد وصلت الينا الماثورات القولية التى كانت تستهل بها الحكايات من مثل : (كان يا ما كان فى سالف العصر والزمان) (كان يا مكان - ياسادة يا كرام ما (يحلى) الكلام ، الا بذكر النبى عليه الصلاة والسلام) وتوارثت الاجيال العربية الناشئة مادة (محتوى) الحكايات القصصية من أصول تراثية يزخر بها أدبنا العربى الموروث ولم تسلم مضامين أو أحداث الحكايات القصصية الموروثة من عنصر الترهيب الذى طبعت عليه وجدانات الأجيال من تأثير سماع الحكايات المخيفة الى تتخللها عناصر (الجان والشياطين والغيلان ونحوها وقد تضاعف عنصر الترهيب فى الحكايات القصصية بتطور الحياة العربية وبدأت تميل الحكايات القصصية الى تحقيق المنفعة بهدف تنمية الخيال وتنقيف الناشئين كما أشرنا الى حكايات الحيوان فى الادب العربى القديم ونماذج منها فى العصر الجاهلى وفى ظل الحضارة الاسلامية ، وتأثيرها الفعال فى الكبار والصغار على السواء وأوضحنا كيف تنوعت حكايات الحيوان فى الأدب العربى الذى اشتمل على الحكايات الخرافية والخيالية المروية على السنة الحيوان والطير ، وأقتراب بعض تلك الحكايات من الشكل

* انظر لمزيد من التفاصيل حول استقرار مضامين الحكايات القصصية وأنواعها مثل الف ليلة ليلة .
كليلة ودمنة ، والحيوان الجاحظ ، عجائب المخلوقات للزيرنى ، حياة الحيوان الكبرى للسيبى ، ومن المراجع الحديثه ، قصصنا الشعبية د . فؤاد حسنين ، القصة فى الادب العربى القديم د . محمود ذهنى ، القصص فى الادب العربى د . عبد الرزاق حميد ، الرواية العربية فاروق خورشيد وغيرهم .

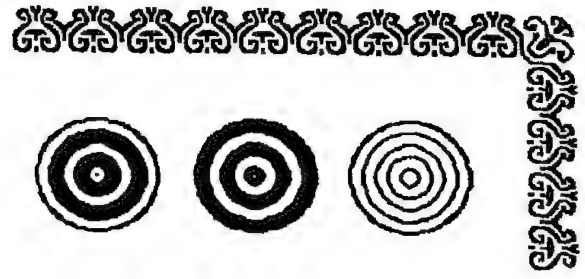
الاسطوري خاصة الحكايات التي أعتمدت في بنيتها ومضمونها^(١) على مقتبسات من العهد القديم الامر الذي يفسر تأويلات عدة موداها أن الاسطورة ذات طابع ديني تتصل بالعقائد ومهما يكن من شئ فإن الحكايات القصصية بأنواعها ترتبط بالاطفال وتتوجه إليهم بما يحقق النظرة الوظيفية لأدبهم وسط عالمهم الخيالي البرئ ، وفي خط مواز لتلك النظرة كانت الالغاز والاحاجي تلعب تأثيرها وسحرها في عقل وجدان الصغار مثلما يحققه عند أطفالنا الأدب الوعظي الحكيم من خلال الأمثال والوصايا وسنطرح فيما بعد الشواهد الشعرية للدلالة على تحديد ملامح صورة الطفل في التراث الشعري ، وهي غزيرة بمثل غزارة وتنوع الحكايات القصصية في الأدب القصصي الوعظي الحكيم ، والمرجح أن الشواهد الشعرية التي أوردناها كقيلة بالرد على الآراء القائلة بأن النتاج الشعري الموروث والخاص بالطفل غير كاف بل ويزعم البعض ندرته أو عدمه - وبالتالي فلا يمكن المواضع المصطلحية لأدب الطفل وفي الواقع ان لأدب الطفل مادته الشعرية والنثرية في الأدب الرسمي وفي ضوء ذلك كله يمكننا القول أن أدب الطفل جنس أدبي له أصوله في التراث العربي والاسلامي ونمط من أنماط التعبير في الأدب الشعبي للأمة كذلك ، أما الأهداف التعليمية (التربوية) والأخلاقية حيث ينشأ ويتوجه في سياقها في أغلب الاحوال نتاج أدب الطفل ، فليس في ذلك من نقص أو تقصير ، اذ لايزعم الخبير بخصائص مرحلة الطفولة أن الأوائل لم يفتنوا الى طبيعة ودرجة الفائدة أو التوجه المنشود في أدبيات الطفل ، ويستدل على ذلك بمقولة الامام الغزالي :

(. . كل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار)(*) .

فالقصص الأخلاقي أو الادب الحكيم يناسب عقل الطفل ودرجة فهمه وتصوراتهِ وكذلك النظم التعليمي في الشعر يحقق الفائدة(**) اما الترنيمة الغنائية فتحقق للطفل المتعة والتسلية وفرحة الحياة ، أما الرموز اللغوية والألفاظ الجزلة والثراء الضخم في المعاني فهي تناسب الآداب الرفيعة التي تستهدف الكبار .

* احياء الدين ، الغزالي ، ج ١ ، ص ٩٦ ط دار الشعب ، د ح .

** الأدب التعليمي صفة تطلق على العلم الادبي الذي هدفه الرئيسي نقل رسالة سياسية أو اخلاقية أو دينية أو علمية ، بالإضافة الى نقل الحقائق وتحقيق اللذة والتسلية . ص ١١٢ معجم مصطلحات الأدب ، د مجدى وهبه .



الباب الثالث

الفنون الشعرية التراثية والطفل

- صورة الطفل في التراث الشعري العربي
- الطفل : شاعراً
- خيال الظل (فن شعري / نثرى تمثيلي)
- أغاني المهد (أغاني الترقيص القصار)
- صورة مجملّة

مدخل

يتعرض هذا المبحث لنشأة ومفاهيم (الأشعار القصار) القديمة فى التراث العربى ، من مثل الأراجيز وأغانى الترقيص والمقطوعات القصيرة لأن هناك علاقة جوهرية من نوع مميز يربطها - بمادتها وأشكالها وخصائصها - بالعالم الأدبى للطفل ، والعلاقة الجوهرية المميزة التى أقصدها تكمن فى الوقوف عند الفروق البنائية والأدراكية بين شعر الاطفال وشعر الكبار ، والشعر العربى القديم هو الموجه فى أساسه للكبار ومن هذا الجانب حظى - وما يزال - بجهود علماء التنوين واللغة والنقد والبلاغة .

ومن ناقله القول التأكيد على طبيعة تلك العلاقة الجوهرية المميزة - التى أشرنا إليها ومدى انعكاسها على عالم الطفل . لذلك خُص الباب الثانى من البحث إلى أهمية التبسيط والمعالجة للأشكال والفنون النثرية المقدمة للطفل ، لأن معظم مضامين الحكايات القصصية التراثية غاصة بالحوادث المتشابهة من جانب ، والسرد الممل أو المخيف من جانب آخر مما يرسب فى أعماق الطفل ، تشتت الخيال ويحد من انطلاقه كما يصيب الطفل بالخوف ، وألح المؤلف الى ضرورة المعالجة البنائية أو المضمونية فى الحكايات القصصية بالالتكاء على التشويق والسرد الموجز الممتع ، والبعد عن المبالغة فى عناصر التخويف أو الوعظ التلقينى المباشر ، وإنما تنساب الغايات الوظيفية المقصودة من الحكاية فى فنية وأصالة ، إن ذلك كله هو ما يجلب المتعة والفائدة (فالتعبير فى ضوء ذلك شئ متخيل أو محسوس ندرك نحن بواسطته الاحساس لا نستنتجه) (١) .

فى ضوء ذلك يمكن القول بأنه يوجد كذلك فى الأعمال الشعرية فى الأدب العربى القديمة ما يتطلب التبسيط وإعادة المعالجة ، بالإضافة الى حتمية استقرار كتب اللغة والأدب للوقوف على حقيقة وجود الأشعار القصار القديمة الموجهة للطفل وإذا ما تم لنا ذلك وقفنا على مسلمة من مسلمات البحث مؤداها تتبع نشأة الأشعار القصار ذات العلاقة بعالم الطفل الأدبى بهدف التعرف على أصول الظاهرة موضوع الكتاب ، وإذا ما أُلغينا ذلك يشكل ظاهرة من حيث الكم والكيف فإن بحثنا فى ضوء تلك المسلمة قد سار فى مساره الطبيعى .

(١) معنى الفن ، هريوى ريد ، ترجمة ساس خشبة ، ص ٢٧٥ ، ط ٢ بغداد ، ١٩٨٦ م .

ملاح تراثية :

لقد وقف القدماء * من علماء اللغة والنقد والبلاغة وتاريخ الأدب وقوفا طويلا يتسم بشمول النظرة وعمق الثقافة حول فن الشعر فتتبعوا في مصنفاتهم القيمة نشأة الشعر وتطوره ونقده ، فضمت تصنيفاتهم الدعائم الأولى في المكتبة العربية لتاريخ الأدب ونقده ، واتسم مؤلفات هؤلاء العلماء بالعمق والذوق ودقة التحليل والتعليل ، ونهض الأكاديميون (**) المحدثون في خط مواز مع المبدعين بمهمة سير أغوار التراث الشعري بالوقوف بالوقوف عند آراء القدماء وقفات علمية منهجية تستفيد من المناهج الانسانية المطروحة ، وما يستتبع ذلك من الأخذ بالموضوعية وأكبر قدر من المعقولية بعيداً عن الذاتية أو النظرات الضيقة التي جمدت عند مقولة أن القدماء لم يتركوا للمحدثين شيئاً ، وإن قولهم الموروث هو القول الفصل في مفهوم الشعر وأحكامه وأنواعه وتوجهاته . ولكن أهم ما نحتاج الى تعميقه في هذا الفصل هو تحديد ملاح شعر الطفل بالوقوف عند أصوله التراثية ، باستقراء ما وصلنا منه أو وقعت ايدينا عليه من نتاج مدون من ذلك النوع الادبي تحقيقا لغرض هذا البحث الأساسي من ناحية وتمييزا لشعر الطفل المدون عن رصيفة (أغاني اللعب) الدائرة في فلك الادب الشعبي من ناحية أخرى .

من الثابت أن علماء اللغة العربية القدامى لم يذكروا صراحة في مؤلفاتهم اللغوية والأدبية أو العامة ما يشير الى تعريف محدد أو مفهوم ما لادب الطفل شعره أو نشره ؛ بالرغم من وجود النتاج الادبي الذي يخاطب عقل الطفل ووجدانه في بطون كتب اللغة والأدب ، ولم يضع - كذلك - هؤلاء العلماء من النقاد اية مفاهيم أو تعريفات اصطلاحية لأدبيات الطفل في اطار شروحهم وتعليقاتهم وذكرهم للآراء والاحكام البلاغية والنقدية عبر تاريخ الادب العربي... .

* لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزي والمرزوقي ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، الموازنة ، الموازنة للكمدى ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، العمدة في صناعة الشعر نقده لابن رشيق ، الوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجاني ، الخصائص لابن جني ، لسان العرب لابن منظور وغيرها .

** انظر على سبيل المثال مؤلفات : ارسطو عند العرب د . عبد الوحمن بدوي . ، النقد المنهجي عند العرب د . محمد منتور ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي د . شوقي ضيف ، أثر القرآن في تطور النقد العربي د . زغلول سلام ، حديث الاربعة ، من حديث الشعر والنثر ، في الادب الجاهلي د . طه حسين ، لغة الشعر د . محمد رجاء عيد ، الشعر العربي المعاصر د . الطاهر مكي ، الادب وفنونه د . عز الدين اسماعيل وغيرهم .

والمرجح أن ذلك مردود الى أسباب أدبية واجتماعية ، فمن الأسباب الاجتماعية لإهمال القدامى أدب الطفل ؛ الرواسب الباقية من النظرة العربية الجاهلية تجاه الطفل فهو ، الصغير فى مداركه ووضعيته الاجتماعية كعضو فى الهيئة الاجتماعية . وبمجيئ الاسلام تغيرت تلك النظرة الموروثة عن المفاهيم القبلية واستتبع ذلك بدا النظام الاجتماعى يلتفت اليه ويحنو عليه ويرعاه ، وبلغ الإهتمام بالطفل العربى ذروته فى بيوت الخلفاء والأمراء والقادة والاعيان إبان الحضارة الاسلامية فظهرت طبقة(*) من المعلمين والمؤدبين - كتابا أو شعراء - للنهوض بمهمة الأدب التهذيبى للطفل بالاضافة الى النظام التعليمى بمناهجه والذى شمل الناشئين فى الامة .

وقد يردد قائل أن العرب كانت لا تحتفل إلا بقدوم غلام يولد (يدافع عن القبيلة - من بعد - فضلا عن كونه غلام ولد (ذكر) فيه نظرة جاهلية قديمة وقرس تنتج(الوفرة فى عدة الحرب والأسفار) وشاعر ينبغ (ليشيد فى شعره بالقبيلة فخرا وحماسة) .

فالمقصود من سياق المقولة التى اوردها ابن رشيق فى مستهل كتابه "العمدة" ليس إيجاد العلاقة بين الطفل والشعر، وإنما احتفاء القبيلة بالغلام والقرس والشاعر على نحو ما ذكرنا ، ومن الأسباب الاجتماعية ايضا توفر الأمهات والجذات والجوارى والمربيات(فى فترة الطفولة المبكرة) على تربية الطفل وما صاحب ذلك من قيامهن بالدور التربوى فضلا عن تسليية الطفل بالغناء له وترقيصه على إيقاع المنظومات الخفيفة أو المائورات الشعبية ، وبالتالي عزف الشعراء والنقاد على الابداع للطفل بنوع خاص فى الأدب الرسمى بدرجة ملحوظة أو لأغراض مقصودة ، لذلك لم تتشكل لنا فى النهاية المواضعة المصطلحية لليونان الطفل* أو الظاهرة الفنية المستقلة لجمع ابداعاته أو تفسيرها .

ومن الأسباب الادبية أدت الى أحجام المبدع العربى القديم عن ابداع شعرى للطفل يتسم بالغزارة والاصالة والتنوع هو قيد القاموس اللغوى ونعنى به القاموس اللغوى للشاعر العربى القديم المملوء بالوعورة والبداوة ولم يلق أو يرق هذا القاموس إلا مع الشعر

(*) من مثل : عبد الرحمن بن عبد الصمد بن عبد الاهل ، الضحاك بن مزاحم ، عامر الشعمى عبد الله بن المقفع ، على ابن حمزة الكسائى ، خلف الأحمر ، سليمان الطبرى أحمد بنى سعيد النمشقى وغيرهم .
والمؤلفات التربوية إبان الحضارة الاسلامية خاصة بذكر اخبارهم مثل مؤلفات . البلاذرى ، ابن مسكويه القابسى ، الفرزلى ابن خلدون وغيرهم .

الاسلامى الذى واكب ظهور الاسلام بينما لازم تلك الصعوبة فى الشعر الجالى علامات
البعد عن المؤلف واسترفاد الفاظ معجمية غير مستعملة فى الحياة والدوران حول دائرة
الالفاظ البدوية على ما فيها من وحشية وغرابة وإبهام وغيرها .

والطفل فى مراحل نموه اللغوى والعقلى يميل الى التعرف على المعطيات المحسوسة
المحدودة بالبيئة ثم يتطور هذا التعرف الى خيال يقترب من اكتشاف الواقع ومن ثم لا يقدر
الطفل على متابعة جزالة اللفظة وغرابتها ، بأعتبارها مع رصيفاتها من الالفاظ الخارجة
عن محيط فهمه وإدراكه ، كما لا يقدر الشاعر على الفكك من (اسار) قاموسها اللغوى
المفرق فى البيئة بمعناها الواسع ، والمعجم بأصوله اللغوية نادرة الاستعمال - أو الابداع
الشعر المحكم فى لغته وصوره وأخيلته وأغراضه .

أما الاغراض الشعرية التى تناولها الشعر العربى القديم ، فكانت هى الاخرى بمثابة
حدود لا يستطيع الشاعر تجاوزها ، كى يستقل الشعراء بأدب للطفل بمعناه التعليمى أو
التنزيهى أو الوجدانى لذلك وجدنا ولع الشعراء بالمديح والهجاء والثناء والغزل والوصف
والفخر ، الحماسة والطرديات ، أما الاشعار القصار وأغانى الترقيص والمنظومات الشعرية
السهلة فلم تكن فى دائرة اهتمام جل الشعراء وإن إهتم بها بعض الشعراء والرجاز على
نحو سنوضح من بعد وقد يقول قائل ان العديد من شعراء العربية قد خصصوا الانباء
بقصائد شعرية أو كتبوا فى "رثاء الابناء" منظومات شعرية ، فهو إذاً من الإبداع الشعرى
فى مجال ادبيات الطفل ، ولرد على تلك المقولة نذكر: أن الابداع الموجه للطفل يختلف عن
الابداع "عن الطفل" أو النتاج المعرفى عنه وفى ضوء ما تقدم سيقف هذا الباب عند جنود
ونصوص من الفنون الشعرية ذات العلاقة بالطفل فى التراث العربى والاسلامى من مثل:

الامهودات (أغانى المهد) أو أغانى الترقيص ، والانشيد والمنظومات القصيرة والأراجيز
والمقطعات الشعرية التى تدخل فى دائرة أدبيات الطفل

صورة الطفل في التراث الشعري العربي

لقى الطفل العربي من الاوائل أوجه الرعاية والعناية فى الاعداد البدنى والعقلى والوجدانى تنشئة وتربية وفى الحديث ربح الولد من الجنة وقال ﷺ للحسين والحسن (..وأنكم ريحان الجنة)^(١) .

وسبق أن أفردنا فى سياق عرض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للطفولة أو الناشئة . أنها تعنى إنشاء الصغير حالاً فحلاً إلى حد التمام . قال عز من قائل : «أو من ينشئونها فى الحلية» الآية ١٨ سورة الزخرف . فالناشئ والنشأة وأحداث الشئ وتربيته ورعايته جميعاً .

فالطفل فى ضوء ذلك هو المأخوذ بالحنو والتربية والتعليم والتنقيف من مهده الى ان يبلغ الحلم .

والأدب نثره وشعره من أخص العوامل الوجدانية فى تهذيب الطفل وترقية مشاعره والشعر من الاجناس الادبية التى أسهمت وما تزال، فى التربية الوجدانية للطفل العربى، وانطلق فن الشجر بأراجيزه ومقطعاته القصيرة يشكل البناء الروحى فى وجدان الطفل ، فالمنظومات الشعرية اتكأت على العامل التعليمى كعامل حاسم يعقب مرحلة الترقيص والتطريب التى كان يتلقاها الأطفال فى مهدهم .

ولا يضير شعر الطفل أنه نظم تعليمى - فى إحدى مقاصده - وإن نماذجه فى معظمها تهدف الى تلقين القيم ، وأنه يحمل بين أغراضه التعاليم الدينية وأنها جميعاً من الدعائم الايجابية التى يتشكل من فوقها البناء المتكامل للانسان الذى نستهدفه ، وفى المستقبل بأمكان ذلك الكائن الصغير الذى اكتسب وتذوق قدراً من الشعر التعليمى أو التهذيبى أن يتعامل مع الأدب بمضمونه المتنوع ومستوياته اللغوية والفنية الراقية .

(١) ثمار القلوب للمثالبى ، ص ٦٩٦ ، ينظر مرجع سابق (تخريج الحديث) .

وقد روى عن النبي أنه قال : لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرا ينشد عليه الشعر .. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه . . وكتب الى أبي موسى الأشعري : مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الاخلاق وصواب الرأي ومعرفة الاسباب . قال معاوية : يجب على الرجل تأديب ولده والشعر على مراتب الادب (١) .

ولم تكتف العرب برواية الشعر وإنشاده وتعليمه في المجالس والمحافل وإنما كانوا كذلك يعلمونه الصبيان تعليما وكانت توزع الصحف على الصبيان في المكتب ليتعلموه ويرووه ، وفي ظل الاسلام ازداد اهتمام الخلفاء والامراء والقواد بتعليم الأولاد الشعر وروايته ، وقد أفاض في تفصيل ذلك د . ناصر الاسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي ووثق مقولة من مصادر القرون الهجرية الاولى في مظانها الاولى ، ومنه مقولة عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده : أرو لهم الشعر يمجدوا وينجدوا (*) وبرغم أن ارسطو هو أول من حاول فصل النظرية الجمالية عن النقد الأخلاقي ، فإن نظريات العرب القدماء كانت تنسب للشعر الأهداف الأخلاقية والتعليمية بالإضافة الى الأهداف الأخرى للشعر في طبقته العالية وقيمته الفنية الراقية ومن قبل اشار ابن خلدون في مقدمته الى أهمية الأدب التعليمي وإلى ما قالت به العرب ، في هذا الشأن ، لما له فائدة في تنمية الطباع والملكات وهي لا تنمو فيما يرى ابن خلدون الابالتلقين والتكرار وعبر عن مذهب إتجاه الأوائل في تأديب الناشئين وتهذيبهم فيقول: (ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده الأمين فقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين قد دفع اليكم مهجة نفسه وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطه ، وطاعته لك واجبه . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الاخبار ، وروه الأشعار وعلمه السنن ، بصره بمواقع الكلام وبدنه ..) (٢) ويؤكد ابن خلدون

*تكاد تجمع المؤلفات العربية في مصادرهما الاولى على ضرورة تعليم الانبياء الشعر وتلقينهم مقطوعاته وروايته كذلك ، باعتبار الشعر مثير للعاطفة ومحرك للوجدان من ناحية ، وعامل حاسم من عوامل النمر اللغوي من ناحية أخرى لمزيد من التفصيل حول فكرة تعلم الشعر وروايته انظر : السيرة لأبن هشام الاغانى للاصفهاني ، الشعر والشعراء لأبن قتيبة ، العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبن رشيق طبقات فحول الشعراء لأبن سلام وغيرها . من كتب التربية الاسلامية : تأديب الناشئين بأبى الدنيا والدين لأبن عدي ربه ، أميها الولد المحب للامام الغزالي ، مقدمة ابن خلدون لأبن خلدون وغيرها .

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، د . ناصر الدين الاسد ، ص ١٩٩ .

(٢) العقد الفريد ، لأبن عدي ربه ، ج ٥ ص ١٢٥ .

على أهمية تنمية الملكات اللغوية عند الاطفال الى أن تتأصل فيهم عن طريق التلقين اللغوى وتكرار الاستعمال ، وهى رؤية ثابتة فى مجال النمو اللغوى عند الطفل - أثبتتها - غير مرة نتائج بحوث علم النفس اللغوى المعاصر .

فالملكات اللغوية تصير طبعا عند الطفل والطبع لاينمو إلا بتكرار الافعال وقول ابن خلدون " أعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة اذ هى ملكات فى اللسان للعبارة عن المعانى، وجودتها ومقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها . . يسمع الصبى استعمال المفردات فى معانيها ، فيلقنها أولا ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم ، هكذا تصير الألسن واللغات من جيل الى جيل ، وتعلمها العجم والاطفال ، وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة العرب بالطبع أى بالملكة الاولى التى أخذت عنهم ، ولم يأخذون من غيرها(١) . ومنه قول عائشة رضي الله عنها (رووا أولادكم الشعر تعذب السنتهم)(٢) وأزعم أنها النزعة الدينية فى إظهارها التربوى والاخلاقى فى الشعر العربى الموروث ، وبخاصة الأشعار القصار الموزونة للصغار قد تمحورت عند بناء اللغة فجاءت النماذج التراثية لشعر الطفل - أو حتى فى الأشعار المكتوبة عنه - فى ألف معنى وأوجز عبارة وأسهل لفظ وأقصر بحر عروضى .

ومن الاشياء المألوفة أن التطور الاجتماعى والحضارى فى البيئة العربية فى ظل الحضارة الإسلامية اسهم الى حد كبير فى التشكيل اللغوى وفى الصورة الشعرية كذلك ، يقول الجرجانى (فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الى القرى وفشا الأدب والتظرف أختار الناس من كلام الناس ألينه وأسهله، وعمدوا الى كل شئ ذى أسماء كثيرة أختاروا سمعا ، وألفها من القلب موقعا)(٣) فى ضوء ما تقدم فى امكاننا القول بأن الاغراض الشعرية الكبرى فى الشعر العربى القديم تتنوع وتتعشّب فى اطر جديدة بتطور الحضارة الجديدة فى مرحلة أثر مرحلة وبدأ الشاعر يتخلص بالتدريج من آثار القوائد الطوال ، وبخاصة القيود التقليدية فى مطلع

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٥٠٨ ط دار الشعب ، القاهرة ، د . ت .

(٢) السابق ، ص ٥٢٢ - ٥٢٣ .

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجانى ، ص ١٨ .

القصائد من البكاء على الرسوم والتشبيب والنسيب وغيرها ، وتحول الشاعر الى أغراض جديدة واكبت التطور الحضارى - وقتذاك - من مثل : الشعر السياسى ، الشعر الدينى (الصوفى والاخلاقى) ، الغزل (المتجدد من مثل الغزل بالذكر) والوصف المتجدد (للمنتجات الحضارية كالادوات والصنائع المستحدثة) والشعر التعليمى والوعظى وغيرها

أما الاساليب اللغوية فهى الوعاء الذى حمل الافكار والمضامين الجدية فمالت الأساليب إلى السهولة والايجاز واستعمال المألوف من معطيات البيئة الحضارية الجديدة ، وفى مجال أدبيات الطفل لجأ الشعراء الى استعمال اسلوب الخطاب الحوارى وهم يكتبون قصائدهم فى أولادهم وفى العتاب أو الرثاء وغيرهما من الاساليب المتجددة لغة وفنا . فقد يجرى بعض الشعراء حواراً بينهم وبين ابنائهم ويتحدثون معهم ويبادلونهم الحديث وهذا اكثر وقعاً من الخطاب الذى من وجهة واحدة ، وقد أسماه النقاد بالمراجعة . يقول ابن حجة الحموى : منهم من سمي هذا النوع السؤال والجواب وهو أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره بأوجز عبارة وألطف معنى وأسهل لفظ^(١) .

ومنه قول ابن الرومى فى قصيده له عن ابنه :

أريحانه العينين والألف والحشا ألا ليت شعرى هل تغيرت عن عهدى
كأنى ما استمعت منك بضمة ولا شمة فى ملعب لك أو مهد^(٢)

ويلتقط المؤلف هذه المحاوره أو "المراجعة" التى قال بها ابن حجة الحموى ، نقلا عن ديوان الصنوبرى ، الذى يحاور وحيدته ليلى فيقول :

يا أبنتى ، أين غبت عن رمضان وقد حضر

(١) خزائن الادب لابن حجة الحموى ، ص ١٢٤ .

(٢) ديوان الصنوبرى ، تحقيق د . احسان عباس ، ص ١٠٣ ، ط .

ولقد كنت انسنا	فى عشاياه والبيكر
ولقد كنت بيعت نو	م لياليه بالسهر
واعكتاف على الدعا	ء او الدرس للصور

ترد عليه ليلي :

يا أبى ليس عندمن	مات علم ولا خير
لاهلل الصيام ير	عى ولا الفطر يفتظر
لافطور ولا سحو	رلنا أن دنا السحر
درست يا أبى المحا	سن وائمحت الصور (١)

ومنه ايضا استعمال الاسلوب الواحد فى خطاب شعريّ ومنه ما كتبه اميه بن أبى الصلت (*) يعتب على ابن له فيذكر :

غذوتك مولودا وعلتك يا قعا	تعل بما أدنى اليك وتنهل
إذا ليلة نابتك بالشكو لم أبت	بشكواك إلا ساهراً أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى	طرقت به دونى ، وعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك، وإنها	لتعلم أن الموت حتم مؤجل
قلما بلغت السن والغاية التى	إليها مدى ما كنت فيك أومل
جعلت جزائى منك جيبها وغلظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذا لم ترع حق أبوتى	فعلت كما الجار المجاور يفعل
وسميتنى بأسم المفند رأيه	وفى رأيك التنفيذ لو كنت تعقل
تراه معداً للخلاف كأنه	يرد على أهل الصواب موكل

(١) ديوان الصنوبرى ، للصنوبرى ، تحقيق د . احسان عباس ، ص ١٠٢ ط
 * أمية بن أبى الصلت الثقفى ، شاعر مخضرم : انظر شروح الحماسة : المنتخب من أدب العرب ج ٤ ص ٩٢ - ٩٤ ط
 الاميرية ١٩٤٤ .

لقد ألمحنا بذكر الامثلة السابقة من المقطوعات الشعرية ؛ إظهار الاسلوب التعبيري في اللغة الشعرية في الكتابه (عن) الطفل ، أما الكتابة للطفل بوجه خاص فسيعرض لها هذا المبحث بشئ من التفصيل لرصد ظاهرة وجود نصوص عربية مدونة حول شعر الطفل بين ثنايا كتب اللغة الادب ، والأغراض الشعرية في شعرنا العربي لم تترك عالم الطفل دون الحديث عنه ، حقا ان حديث القدامى من شعراء العربية عن الأولاد كان يجئ عرضا في قصائدهم الطوال في اغلب الأحيان ، ولكننا نستطيع أن نلتفت الى مقطوعات شعرية متفرقة أو أبيات متناثرة في ذخائر التراث ، ومن هنا تقدر على رصد وجود الأبناء في الأغراض الشعرية الكبرى لشعرنا القديم ، ومن أهم الأغراض التي تناولوا الشعراء في صدد حديثهم عن الولد : الرثاء (*) والعتاب والفخر والحث على العلم والتهذيب بمكارم الأخلاق فالأولاد عند شعراء العربية القدامى هم قرة العين ، ومهجة النفس وطيور جنان الخلد ، ولذلك تنوعت تلك الأغراض ومنه سنطوف حول حديقة الادب الموروث نختار شواهدنا الشعرية ، فحاتم الطائي يعمق خاصية الكرم عند غلامه :

أو قد فإن الليل ليل قر والريح بإغلام ريح صر
عل يرى (نارك) من يمر أن جلبت ضيفا فانت حر

ومنه قول ليبيد في الفخر :

فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسمما إليه كهلها وغلامها

ومنه أيضا هذا البيت الشهير لباشمة بن حزن النهشلي :

وليس بهلك مناسيد أبدا الا اقتلينا غلاما سيدا فينا

* افاض العديد من أهل الأدب عبر تاريخ الادب العربي في نظم القصائد وتعبير المؤلفات في رثاء الأبناء ، وترخر المكتبة العربية بمخطوطات نادرة حول الاشعار التي نظمها الآباء أو الشعراء في وفاة الأبناء أو الأولاد ، منها سلوة الحزين في موت الذرية ، والجلد عند فقد الولد ، وكلاهما ، للسيوطي وغيرها وقد خص الباحث الاردني د . مخيمر صالح اطروحتة للدكتوراه لموضوع " رثاء الأبناء في الشعر الى نهاية القرن الخامس الهجري انظر المطروحة مطبوعة نشر جامعة اليرموك ، الى الاردن ١٩٨١ .

وفي جانب الفخر يقول عمر بن كلثوم في معلقته: (١)

ألا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
إذا بلغ الرضيع لنا طعاما تخر له الجبابر ساجديننا
وغير هذا الفخر القبلي ، تقول اعرابية في رثاء ابنائها :
تركتنى في الدار لي وحشة قد ذل من ليس له ناصر
ومنه ايضا رثاء اعرابي في ولد له :
سأبكيك ما هبت رياح من الصبا وما طلعت شمس وما ضاء كوكب
ومنه قول الصنوبري: (٢)

كنت القرير العين اذا كنت لي تحلو احاديثي واخباري
وكان شعري يتفنى فأستحسننت للنوح أشعاري

وصاحب العقد الفريد في ذلك يذكر: (٣)

أفرخ جنان الخلد طرت بمجتي وليس سوى قصر الضريح له وكر
ويقول ابن الرومي :

وأولادنا مثل الجوارح أيها فقدناه كان الفاجع البين الفقد
لكل مكان لايسد اختلاله مكان أخيه من جزوع ولا جلد
هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين تهدي كما تهدي^(٤)

(١) في تاريخ الادب الجاهلي ، د . علي الجندي ، ص (٥٠) دار المعارف ١٩٨ م .

(٢) ديوان الصنوبري ، تحقيق د . احسان عياس ، ص ١٠٠ بيروت ١٩٧٠ م .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٤) ديوان ابن الرومي ، تحقيق د . حسين نصار ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ ، ط دار الكتب ١٩٧٣ م .

ولو انتقلنا لى لون اخر من الالوان الشعرية التى عبر عنها الشعراء القدامى عن وصف
أحوالهم تجاه الأبناء ، سنجد مثل هذه القصة الشعرية الطريفة فى المستطرف :

أحب بنيتى وودت أنى	دفنت بنيتى فى قاع لحد
وما بى أن تهون على لكن	مخافة أن تذوق الذل بعدى
فان زوجتها رجلا فقيرا	أراها عنده والهم عندى
وان زوجتها رجلا غنيا	فيلطم خدها ويسب جدى
سألت الله يأخذها قريبا	ولو كانت أحب الناس عندى

ومن خشية الوالد على المستقبل الذى ينتظر ابنته، نلاحظ الاهتمام العاقل بالأولاد فى
حكمة مقرونة بالسعادة التى تلفهم ، وفى ذلك يقول بن الجهم القرشى :

من وراء الشباب شيب حثيث الـ	سير والليل مزعج بنهار
ومع الصحة السقام وحال الـ	عز مقرونه بحال الصغار

ولعل ضادية حطان بن المعلى خير ما عبر به الشعراء القدامى عن منزلة الطفل والحنو
عليه والرعاية له : يقول حطان بن المعلى :(*)

أنزلنى الدهر على حكمه	من شامخ عال الى خفض
وغالنى الدهر بوفر الغنى	فليس لى مال سوى عرضى
أبكاني الدهر ويا ريماء	أضحني الدهر بما يرضى
لولا بنيات كزغب القطا	رددن من بعض الى بعض
لكان لى مضطرب واسع	فى الارض ذات الطول والعرض
وأنما أولادنا بيننا	أكبادنا تمشى على الارض

(*) اللات للنظر فى شرح ديوان الحماسة، للمرزوقى ، ج ١ . ص ٢٨٥ ، الحماسية ٨٦ وينقصها البيت السابع والخير من الحماسية .
وارمرت الريح على بعضهم لامتعت عيني عن الغمض
وينسب المرزوقى الابيات لخطاب بن العلى أما خطاب بن العلى ففيه تصحيف وحطان بن المعلى شاعر اسلامى من بنى مخزوم فهو مخزومى قرشى .

وابن الرومي عقد مزاجه رائعة بين الربيع والأبناء فيذكر :

ورياض نخايل الأرض فيها خيلاء الفتاة في الأبراد
منظر معجب ، تحية أنف ريحها ريح طيب الأولاد^(١)

وفي مجال الاعتذار والاستعطاف كتب الحبيثة هذه الأبيات وأرسلها من سجنه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وكان قد أمر بسجنه لهجائه أمه وأبيه وإمرأته ، وفي أبيات جمعت بين الاعتذار والاستعطاف بالاطفال أرسل يقول:^(٢)

ماذا تقول لأفراح بنى مرخ حمر الحواصل لاماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فأغفر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذي من بعد صاحبه أقت اليك مقاليد النهى البشر
ما أثروك بها إذ قدموك لها لابل لأنفسهم قد كانت الاثر

ومن الذين عبروا عن ائتلاف العلاقة بين الشعر والطفل : ابن رشيق القيرواني في أدبيات تقول :

الشعر شيء حسن ليس له من حرج
فعمموا اولادكم عقار طب المهج^(٣)

وتكاد تجمع المنظومة الشعرية السابقة (وظائف الشعر) الذي تستهدف تعميق مفاهيمه وتوجيهاته لاستثارة العوامل الوجدانية عند الاطفال فالبيت الاخير من المقطوعة القائل في بساطة واضحة :

فعمموا اولادكم عقار طب المهج

(١) ديوان ابن الرومي ، تحقيق د . حسين نصار ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ ، دار الكتب ١٩٧٣ م .
(٢) المستطرف من كل فن مستظرف ، للإبيهي ، ج ٢ ص ١٠ ، ط دار الفكر القاهرة . د . ت .
(٣) العمدة لابن رشيق ، ص ٣٥ . -

نلاحظ أنه يسلمنا في رفق الى تحقيق النظرية الوظيفية من أدب الطفل : تعلم وتنوق
وبناء للوجدان . على جانب آخر من الأغراض الشعرية المستحدثة المنظومات التعليمية التي
أحسن بها الشاعر العربي القديم في إطار التحول الاجتماعي والحضاري العربي ، ويقول
الشاعر مشيراً الى الأدوات (المحلات) ، وسميت المحلات لأنها من كانت مع الانسان حينما
حل وارتحل :

ان المحلات ست فاسمعن لها الزند والدلو والسكين والقباس
والقدر والزق لاتبفى بها عوضا فحيث ما كن كان الناس والبأس^(١)

ومنه ما يحمل العظة من مثل قول بديع الزمان الهمداني :

ويحك هذا الزمان زور فلا يفرنك السفرور
لا تلتزم حاله ولكن در باليالي كما تنور^(٢)

ومنه أيضاً يقول صاحب بن عباد :

الزم الصدق انه حيلة العلم والادب
كذب المرء شيننه لعن الله من كذب^(٣)

وتوسع القدماء من رجاز وشعراء وعلماء اللغة في نظم العظات والنصائح في أسلوب
شعري يحمل القيم الأخلاقية في إطار الادب التهذيبي يقول الشاعر^(٤)

يا مفرقا في أدب السدرس أفضل منه أدب النفس^(٥)

وقديما وصي (يعرب قحطان) أولاده فقال :

بنى أبوكم لم يعد عما به وصاه قحطان بن هود
فوصاكم بما وصى أباكم أبوه عن أبيه عن الجدود
اذيعوا العلم ثم تعلموه فما ثوروا العلم كالكل البليد

(١) محاضرة الاخيار وسامرة الابرار ، لابن عربي ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

(٢) بديع الزمان الهمداني ، ماريون عبود ، والمقامة القريضية ص ٧٧ ، دار المعارف ١٩٦٧ م .

(٣) ثمار القلوب ، للثعالبي .

(٤) السابق نفسه .

(٥) السابق نفسه .

ومنه قول طرفه بن العبد :

اذا كنت فى حاجة مرسلًا	فارسل حكيمًا ولا توصه
وانا ناصح منك يوما دنا	فلا تنأ عنه ولا تقصه
ولا تذكر الدهر فى مجلس	حديثا إذا أنت لم تحصه
ومنه نصيحة سيفان بن عيينه لولده :	
بنى ، ان البر شئ هين	وجه طليق وكلام لين

أما عبده بن الطيب فيعق فى وصيته لوالده الحكمة فيذكر:

أوصيكم تقوى الأله فإنه يعطى الرغائب من يشاء ويمنع

ومنه أيضا وصية "سبيعة بنت الأحب بن عيلان" لابن لها تعظم عليه حرمة مكة فتذكر:
وهى تنصحه بتلك الايات :

ابنى لا يظلم بمكة	لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها	بنى ولا يفريك الفرور
ابنى من يظلم بمكة	يلق اطراف الشرور

فى الحث على الجد بهدف المجد يقول عمر بن الاهثم :

وان المجد أوله وعور ومصدر غيبه كرم وخير
وانك لن تنال المجد حتى تجود بما يضمن به الضمير^(١)

ومحبة الاطفال والعطف عليهم والحرص على حاضريهم وتأمين مستقبلهم من أهم الجوانب التى التقت إليها كذلك ديوان الشعر العربى ، وقد كشفت "ضادية" حطان بن المعلى ، "ولامية" أمية بن الصلت ، وقصائد الرثاء وغيرها من الأغراض التى تناولت الاطفال عن اهتمام بالغ بالأبناء فى ديوان الشعر العربى ، ويبين يدى المؤلف خاصية أخرى يطرحها فى هذا المجال وهى إظهار الشاعر العربى المسلم لمفهوم المحبة والحنو والعطف

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ص ٦ -

على "البنات" لان البنات أحوج من الصبيان الى الرعاية والعطف نظرا لانهن خلقن بحاجة متصلة الى الحماية والرقعة والحنان من الابوين بل ومن المحيطين بهن جميعا .
قال عز من قائل "وليشقى الذين لو تركوا من خلقهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله ، وليقولوا قولاً سديداً" .
وقد غنى من الشعراء العرب للبنات ، يقول الشاعر الاسلامي اسحاق بن خلف فى مقطوعة طريفة :

لولا (أميمة) لم اجزع من العدم	ولم أقاس النجى فى حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى	أن اليتيمة يجفوها نوى الرحم
أحاذر الفقر يوما ان يلجم بها	فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتى ، واهوى موتها شفقاً	والموت أكرم نزال على الحرم
أخشى فظاظة عم ، أو جفاء أخ	وكننت أبقي عليا من أذى الكلم (١)

وعندما كتب قطرى بن الفجاءة الى ابن خالد القنائى يستدعيه لمشاركته قتال رجال الخوارج للدولة الاموية ، اعتذر اليه فى الابيات التالية فيذكر (٢)

لقد زاد الحياة الى حبا	بناتى ، أنهن من الضعاف
أحاذر ان يرين الفقر بعدى	وان يشربن رتقا بعد صافى
وان يعرين إن كسى الجوارى	فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سومت مهري	وفى الرحمان للضعفاء كافى
أبانا ، من لنا ان غبت عنا	وهصار الحى بعدك فى اختلاف

وقال إعرابى لعمري ابن هبيرة الغزارى يستعطفه رعاية أولاده الفقراء من فيض ثروته فيذكر :

أصلحك الله قل ما بيدى	<u>فما أطيق العيال إذا كثروا</u>
رجوك للدهر ان تكون لهم	غيث سحاب أن خانهم مطر

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، ص ١٦ .
(٢) الفضليات ، للمفضل الضبي ، ص ٤٩ .

وفى معنى ذلك انشد الرياشى هذا البيت لأعرابى :

زينها الله فى الفؤاد كما زين فى عين والد ولد

ومن الصور الشعرية الطريقة التى انشدها أبو فرعون الساسى فى أطفاله يقول مرتجزا وهو يصور البؤس الذى يعيشونه * :

وجاءهم البرد وهو بشر	وصبية مثل صفار النذر
وبعضهم ملتصق بصدري	بغير قميص وبغير أذر
وبعضهم منحجر بحجرى	وبعضهم ملتصق بظهري
حتى اذا لاح عمود الفجر	اذا بكوا علتهم بالفجر
عنهم وحلوا أصول الجدر	ولاحت الشمس خرجت أسرى

كانهم خناقس فى حجر(١)

وقالت ام ثواب الهزلية فى ولد لها :

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه أم الطعام ترى فى ريشه زغيا

وليس أدق مما صور الشاعر العربى فى ضرورة وفاء الأبناء للأباء ، وعن دوام الصلة
وفعل الخير يقول أبو رباط لأبنه مما ورد فى شروح الحماسة :

رأيت (رباط) حين تم شيابه	وولى شباب ليس فى بره عتب
اذا كان اولاد الرجال مرارة	فأنت الحلال الحلو - والبارد العذب
لنا جانب منه انيق وجانب	شديد على الاعداء مركبه صعب
وتأخذه عند المكارم هزة	كما أهتز تحت البارح الغصن الرطب

* لعل مثل ينفق والدعوة المعاصرة لتنظيم الإنجاب فى الأسرة ، فالثمرة أبناء أمحاء .
(١) الشعر وطرايعه الشعبية ، د . شوى خفيف ، ص ٨٩ .

وقيل للاصمعى ما معنى قول أمية بن أبى الصلت :

وما ذاك إلا الديك شارب خمرة نديم الغراب لا يمل الحوانبا
فلما استقل الصبح نادى بصوته ألا من غرب هل رددت ردائيا

فقال الاصمعى : (ان العرب كانت تزعم ان الديك فى الزمان الأول كان ذا جناح يطير فى الجو وأن الغراب كان ذا جناح الديك لا يطير به ، وانهما تنادما ليلة فى حانة يشربان فنفذ شرابهما فقال الغراب للديك ، لو اعترتنى جناحك لايتنك بشراب ، فأعاره جناحه فطار ولم يرجع ، فزعموا أن الديك إنما يصيح عند الفجر استدعاء لجناحه من الغراب)^(١) ومن الطرائف الشعرية ذات العلاقة بعالم الطفل هذا الموقف النادر الذى يحكيه الشاعر العربى الحطينة فى حوارية بينه وبين ولده الصغير ، ومن قصيدته الشهيرة التى مطلعها :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل بيداء لم يعرف بها ساكن رسما

فالحطينة وأولاده لم ينوقوا طعاما منذ ثلاث ليال ، وقد عصب بطنه من الجوع وحينما رأى شبعا ضعيفا من بعيد كثر همه وحزنه :

وقال :

راى شبعا وسط الظلام فراعاه فلما رأى ضيفا تشمر وأهتما
هيا رياه ضيف ولا قرى بحقك لا تحرمه تالله الليلة اللحم

ثم يأتى موقف ابنه على هذا النحو :

فقال ابنه لما رآه بحيرة آيا ابت اذبحنى ويسر له طعاما
ولا تعتذر بالعدم على الذى ترى يظن لنا مالا فيوسعنا ذما

ويهم الحطينة بذبح ولده ، كأنه يسترقد ، قصة ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام - لولا أن رأى قطيعا من الاتن الوحشية عن بعد كأنما ارسلتها العناية الالهية فداء للصبي^(٢) ولم تغفل الحضارة الاسلامية أهمية المنظومات الشعرية التربوية للطفل يقول ابن سينا

(١) الاصمعى د . احمد كمال ذكى ، ص ١٥٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) الاصمعى د . احمد كمال ذكى ، ص ٢١٦ .

فى كتابه السياسة : (من الضرورى البدء بتهذيب الطفل وتعويده بمدوح الخصال منذ
الطفام). وما رواه الجاحظ فى البيان والتبيين : (. . . علموا أولادكم العوم والفروسية ،
وروهم ما سار من المثل وما حسن من الشعر . . . نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر
يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم) وحدث الطفل
العربى على اتقان ملكة من ملكات وصنعه من الصناعات قال الملهب لبنيه : (يابنى لا يقعدن
احدكم السوق ، فان كنتم فاعلين فالى زراد او سراج او وراق)^(١)

وكانت مظاهر الحفاوة بالطفل العربى تبدو جلية فى الاتجاه الوجدانى بدرجة تفوق
الاتجاه العقلى الى حد ما ، ومن ذلك نلاحظ دوران النظرية التربوية الاسلامية حول الاطار
الوجدانى فى العقيدة والاخلاق فى منهج يقترب من الاتجاه العقلى ، والأدب ديوان العرب
عمق ذلك المفهوم بتأثيراته الوجدانية ، ومنه أن كان الطفل يذهب الى المكتبات (الكتّاب)
وسنه قريب من السابعة ثم يقضى ما يقرب من ثلاث سنوات أو أربع فى استظهار القرآن
والوقوف على اصول الدين وتعلم بعض مبادئ اللغة والشعر . . . وقد لاحظ "أن تمارين
الكتابة التى كانت تعطى للتلاميذ كانت من الشعر يقول ابن سينا فى ارجوزة طويلة حول
الطفل :

ناغية بالإصوات فى تعلم كيما تدريه على التكلم
وأمنعه أن يقصد أو أن يُسألا حتى تراه يقعه قد إعتلى

والارجوزة غاصة بالنصائح المقصودة لتهذيب الابناء وغرس الخصال الحميدة فى
نفوسهم وهى على طولها (تقع فى الف وثلاثمائة وست وعشرين بيتا) تعمق العادات
المحمودة والآداب السليمة عند الطفل بأسلوب تعليمى موجه . . . كأنما عبر الفلاسفة عن
ترجمتهم للنظرية الاسلامية فى التربية والتى تتمحور حول العقيدة والأخلاق وفى الحديث
ما يوافق تلك الرؤية الدينية والاخلاقية .

"وانما الشعر كلام ، فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح"^(٢) وفى ذلك قال المتنبى :

وما الحسن فى وجه الفتى وشرقا له اذا لم يكن فى فعله والخلاق

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ج ، ص ١٨٠ .

(٢) انظر نظرية الشعر عند الفلاسفة الملمين لآلقت الروسى ، التربية فى الاسلام د . احمد فؤاد الاهوانى . . . والمزيد انظر ،
آراء فلاسفة التربية الاسلامية القدامى فى مؤلفات . ابى الحسن القابسى ، ابن جماعة ، ابن مسكويه والغزالي ، وابن
خلدون.

وقد حرص العرب على تنمية الخصال الحميدة في الطفل كالشجاعة والكرم والعطف والشهامة والنخوة وغيرها من الخصائص الايجابية في الشخصية العربية . وذلك عن طريق اشعارهم وامثالهم وحكمهم وقصصهم . والامام الغزالي خير من عبر الفلسفة الاخلاقية في الاسلام ، فكتابه "احياء علوم الدين" ، ورسائله المعنونة "ايها الولد المحب" و "كتابات المتفرقة" تعد ترجمة للفكرة الدينية والاخلاقية الدائرة حول الادب بمعناه التهذيبي ومعناه الفني . يقول الغزالي :

"لو كانت الاخلاق لاتقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ويستشهد هنا بالحديث النبوي : حسنوا اخلاقكم "و" مانحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن" (١) . ويكشف الغزالي عن موقفه من الأنواع الادبية في إطار هجومه على المرنول الماجن ونحوهما من فنون الأدب ، فيحذر من اشعار الهوى والعشق والمجون وأهله عندما قال "ويحفظ (أي يبعد الطفل) من الاشعار التي فيها ذكر العشق وأهله" (٢) وفي ضوء ذلك قال د . طه حسين :

(.. أنا أعلم حق العلم أن من المتقدمين من كان يعدل عن رواية الفاحش من الشعر سواء أكان فحشه مؤذيا للعاطفة الدينية أو للاخلاق والأدب) (٣) .

إذاً لا يضير الطفل أو يقلل من طبيعة الانواع الادبية الموجهة له انها تقوم في أساسها على ركيزة روحية (دينية وأخلاقية) وبأسلوب تهذيبي فيه التنقيف والتعليم أكثر مما فيه من فنية عالية . ويعبر البوصيري (٦٠٨ - ٦٩٥هـ) عن أثر التنشئة على طبع الانسان من زمن الطفل في مرحلته الاولى ، من مثل هذا البيت الشهير اورده مطولته (البردة) :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تقطعه ينقطع

وإذا كا فن الرجز قد نشأ في أحد مقاصده لهدف لغوي في العصر الجاهلي فإن العصر العباسي توسع في استعمال البحور الخفيفة والقصيرة والمجزوءة كالمجثث والمقضب والمضارع ، بل واستحدث العباسيون المزدوج والمسمط اما المزدوج فلعل أول من استخدمه بشار بن برد ، وأخذ الشعراء يستخدمونه من حوله ومن بعده في الشعر التعليمي كما نرى في قصيدة بشر بن المعتمر التي رواها الجاحظ في كتاب الحيوان (٣) وسبق ان ذكرنا في تتبع نشأة واغراض الاشعر القصار في الادب العربي أن كانت العرب تقول الرجز في

(١) احياء علوم الدين والغزالي ، ج ٨ ص ١٤٣٩ .

(٢) الاغانى ، ج ١ ص ١٤٩

(٣) السابق ، ج ٣ ص ١٤٥ .

الحرب والحداء والمفاخرة وما جرى هذا المجرى ، قتلتى منه بأيات يسيرة ، فكان الاغلب العجلى أول من قصد الرجز ثم سلك الناس بعده طريقته ^(١) وقد استتبع التقاء العرب بالثقافات الهندية والفارسية واليونانية فى زمن الحضارة الاسلامية الزاهرة ، التجديد فى استعمال اليحور الشعرية وبالتالي الأغراض التى كان يقصد اليها الرجاز الشعراء وتظهر الميل الى استخدام الاوزان المجزوءة بتأثر ازدهار الموسيقى والغناء فى الأمصار فعرفوا الخمس والمزدوج .

وقد اختار اصحاب الشعر التعليمى القالب الاخير لشعرهم ، وكأنما أغراهم وفرة الموسيقى فيه ، حتى (تتلاقى مافى معانيهم من جفاف معرفة الحكمة . . أما الاسلوب فهو اسلوب مبسط أستطاعوا بنوقهم الحضارى الرقيق أن يحدثوه . فإذا لغته أشد ما تكون نقاء" .

وهذا لم يمنع ندرة الاستعمال لبعض تلك البحور ، ومنه قول مسلم بن الوليد: ^(٢)

يا أيها المعمود قد شفقك الصمود

وله ايضا من تلك الاوزان المقتضبة :

نبا بك الوساد وامتنع الرقاد

وتحقيقا للفائدة من استعمال الرجاز والشعراء للبحور القصيرة فى عالم الشعر التعليمى وما يتضمنه من معارف وعظات وأمثال وحكم للناشئين ، وبما فى هذه البحور الخفيفة من إيقاع موسيقى ولغة موزونة سهلة - يوافق عقل الطفل وإدراكه - نظم إبان بن عبد الحميد اللاحقى كليله ودمنة شعراً يقول فى مقدمته :

هذا كتاب أدب ومحنة	وهو الذى يدعى كليله دمنه
فيه ضلالات وفيه رشد	وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم	حكاية عن السن البهائم

كما تضمن كتاب الاوراق الصولى منظومات شعرية طويلة تشمل الادب الوعظى أو

(١) السابق ، ج ٢ ص ١٤٥ .

(٢) السابق ، ج ٢ ص ٢٩ .

الادب الحكيم من أمثال ووصايا وعظات تأديبات ، من التى كتبها "ابان بن عبد الحميد ترجمة لكيلة ودمنه" فى نظم شعري ، واقتفى اثر ابان اللاحقى ، سهل بن نويخت فى نظم حكايات كيلة ودمنه شعراً (١).

ولم يكن اللاحقى وحده ، هو الذى نظم كيلة ودمنه شعرا ، بل اقتفى اثره شعراء عديون هم الشاعر المصرى الاسعد بن ممت (- ١٦٠ هـ) وقبل ذلك بنحو قرن محمد بن صالح العباسى المعروف بأبن الهبارية (٥٠٤ هـ) صاحب كتاب "تتائج الفطنة فى نظم كيلة ودمنه" ، ورصيفه الصادح والباغم الذى سار فى تأليفه على أسلوب كيلة ودمنه يقول ابن الهبارية فى نتائج وهو يرتجز :

هذا كتاب حسن	تجار فيه الفطن
قضيت فيه مدة	عشر سنين عده
بيوته الفنان	جميعها معان (٢)

جانب آخر أهميته للطفل وهو توظيف مادة الطير والحيوان على ألسنة الشعراء . فمن الضرورى الاشارة الى أهمية ولم الطفل بالحيوان والطير ولذلك تناثرت فى ديوان الشعر العربى منظومات شعريه تصف الطيور والحيوانات على نحو ما عبر عن ذلك فى رحلات الصيد والطرديات ، ووصف عجائب المخلوقات العديد من شعراء العربية القدامى . وعلى أية حال فقد تناول د . طه حسين فى الجزء الثانى من كتابه حديث الاربعاء زيادة ابان بن عبد الحميد اللاحقى لفن الشعر التعليمى فيذكر : انه ابتكر فى الادب العربى فناً لم يتعاطه احد من قبله ، وهو فن الشعر التعليمى وهو فن ليس له فى نفسه قيمة ادبية ، ولا سيما فى العصور المتحضرة (٣) .

والعبارة التى قال بها د . طه حسين لايمكن قبولها على اطلاقها لانه من الظلم الواضح ان تصدر احكامنا على المنظوم الشعري التعليمى بنفس الاحكام التى تصدرها على الشعر

(١) شرح ديوان الحماسة ، للتبريزي ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٢) على ينشره المستشرق ج . هيورث ، دون فى ثلاثة اقسام : قسم اخبار الشعراء . طبع ١٩٣٤ (وهو المتضمن اشعار كيلة ودمنه لابان اللاحقى وقسم اخبار الراضى بالله والمتقى بالله طبع سنة ١٩٣٥ م . والقسم الاخير اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم طبع عام ١٩٣٧ انظر أبو بكر الصولى ، احمد المصرى ص ٢٧٧ - ٢٧٩ . طه هيئة الكتاب ١٩٧٣ .

(٣) اطلاقنا والتراث ، ندوة عربية ، ط المجلس الاعلى للثقافة ١٩٨٨ .

فى أغراضه الأخرى أو فى طبقتة العالفة (بمضمونه وبنفته اللغوية والفنية .

كما أن العصر المتحضرة فى أزهى فترات الحضارات الانسانية ازدهر خلالها الشعر التعليمى مثل الحضارة الهندية والفرعونية واليونانية ، فهى لا تقصد الى الجمال الفنى فى الشعر بقدر ما تهدف الى التعليم والتهديب والتسلية ، والطفل بطبيعته يميل الى المنظومات القصيرة يرددها ويغيد منها كما أفاد منها د . طه حسين - ذاته - وهو فتى على حد قوله حول تلك المنظومات فيذكر : (كنا نروى هذه المنظومات التى حفظناها فى الأزهر أيام الصبا . .) (١) لقد كان الشعر التعليمى هو الوعاء المفضل للعلوم على نحو ما هو معروف ، كما أنه استشهد به لاثبات المعانى (٢) ، ولو عدنا إلى إبان اللاحقى بإعتباره مخترع الفن التعليمى حينما نظم كلية ودمته شعراً للأطفال - لوجدناه قد التفت الى جانب هام يكمل به فائدة نظم كتاب كلية ودمته بالشعر ، وليسهل على هؤلاء الأطفال المتعة من نظم الحكايات والأفادة من مضامنها فى أسلوب تعليمى سهل ، ألا والإلتفات الى حكايات الحيوان والطير وعجائب المخلوقات ، وهى من المخلوقات المحببة لعالم الطفل والمحقة لخياله ، يقول إبان بن عبد الحميد وهو يستهل نظمه لكليلة ودمته :

وهو الذى يدعى كلية ودمته
وهو كتاب وضعته الهند
حكاية عن السن البهائم
والسخفاء يشتهون هزله
لذ على اللسان عند اللفظ

هذا كتاب أدب ومحنة
فيه ضلالات وفيه رشد
فوصفوا آداب كل عالم
فالحكماء يعرفون فضله
وهو على ذلك يسير الحفظ

وأنظر كيف افتتح الأسد والثور :

يرضى من الأرفع بالأخس
يفرح بالعظم العتيق اليايس
شئ إذا ما كان لا يغنيهم
ثم يرى العير المجد هربا

وإن من كان دنئ النفس
كمثل الكلب الشقى البائس
وإن أهل الفضل لا يرضيهم
كالأسد الذى يصيد الأرنب

(١) حديث الأربعاء ، د . طه حسين ، ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) عالم الفكر ، مقالة للدكتور عبده بدوى ، ص ٥٠-٤٩ ، (ج) ٤ يناير ١٩٨٦ ، الكويت .

فيرسل الأرنب من أظفاره ويتبع العير على أدباره
والكلب من دقته ترضيه بلقمة نقذفها في فيه

وهذا جانب آخر فكمّل به ملامح صورة الطفل في الشعر العربي الموروث ، وهو وصف للحظات السفر أو الاغتراب عن الطفل ، ومنه تذكر كاتب الامير المنصور بن ابي عامر وهو الشاعر ابو عمرو بن دراج القسطلی اذا يذكر ابنه وقد تركه لحظة سفره :^(١)

ابنى لاتذهب بنفسك حسرة عن غول رحلى منجدا أو مغورا
فلئن تركت الليل فوقى راجيا فلقد لقيت الصبح بعدك أزهرأ
وحللت أرضا بدلت حصاؤها ذهباً يرف لناظري جوهرا

ومنه لابن دراج أيضا يصف فراقه لزوجته وابنه في لحظة الوداع:^(٢)

ولما تدانت للوداع وقد هفا بصيرى منها أنه وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى وفى المهد مبغوم النداء صغير
عبي بمرجوع الخطاب ، ولقظه بموقع أمواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت له أذرع محفوفة ونحور

ومنه أيضا قوله الأعشى في حوارية مع ابنته وهو على سفر :^(٣)

تقول بنتى وقد قريت مرتحلا يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذى هليت فاغتمضى نوما فان لجنب الماء مضطجعا

كما أحسن العربي ببصيرته بفرحة الطفل حين يرى القمر كأنما تنعكس صفحة وجه الطفل الجميل (حادر) على بدر السماء ، فالصبي عندما يرى القمر يهش له ، وفى ذلك يقول الشاعر ^(٤) :

(١) (٢ ، ١) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الاندلسي . تحقيق د . شوقي ضيف ج ٢ ، ص ٦٠ .
(٢) الاقتصاب في شرح ادب الكتاب ، للبطلينسى ، تحقيق مصطفى السقا د . حامد عبد المجيد ج ١ ، ص ٤٠ .
(٤) مجالس ثعلب ، لايى العباس احمد بن يحيى ، تحقيق عبد السلام هارون ج ١ ، ١٤١ .

وحادر قال لى قولاً قنعت به لو كنت اعلم أنى يطلع القمر

وفى استنفار الناشئة للجهاد والقيادة ، كانت صورة الطفل مضيئة فى هذا الجانب من أغراض الشعراء ومنه قول ليبيد :^(١)

تطير عدائد الاشراك شفعاً ووترا والزعامة للفلان

ومنه انشد العباسى :^(٢)

قلل الأطفال آل بكر يجيبوا من دعاهم للحرب عند البراز

وبعد . ان التوفر على ايرادنا للشواهد التراثية السابقة من ديوان الشعر العربى فى الاغراض المتنوعة (عن) الطفل بهدف تأكيد وجود شخصية الطفل فى تسيج الشعر العربى رجزه وقصيده ، ولا يزعم المؤلف انه اتى بحصر واف لكافة الاشعار التراثية عن الطفل لندرة المصادر والمراجع ، بل عدمها - مستقلة - فى مجال ديوان الطفل العربى ، وإنما اقتضى ذلك الاجتهاد فى استقراء متفرقات زمهات كتب اللغة والادب والاخبار لاستخراج البيت أو البيتين أو المقطوعة فى أحسن الاحوال وبهدف التنظير النقدي لأدبيات الطقولة .

وليس من شك فى أن صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى حظيت على نحو ما بمكانه لا بأس بها عند الرجاز والشعراء ، وأزعم أنها مكانه ايجابيه فى أغلبها (باستثناء) اشعار الغزل الشاذ فى الغلمان ، وهو كلون طارئ اندرج تحت قن الغزل بتوعيه العفيف والصريح ، ولكن هذا الغزل المذكر فى الصبيان والغلمان طمست أغراضه من حياة الجماعة العربية ، وإن بقيت آثاره تنعكس بالسلب على حياة بعض الصبية الأطفال فى طفولتهم المتأخرة وهم يعلمون فى بيوت الخلفاء والامراء والقواد والاثرياء فى اخريات العصر لعباس وعصور الدويلات والطوائف .

ومما يرويه قى ذلك صاحب الأغانى : دخل على بن عيد بن وهب يوماً ومعه صاحب له،

(١) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٨ - ج ٥ ، ص ٢٦٠ .

غلامان أمردان فقالا له لقد تحاكمنا اليك أينما أجمل وجهها وأحسن جسماً : وجعلنا لك اجر
حكمتك أن تختار إينا حكمت له ف ثم مال على الآخر قال :

رئمان جاء . . فحكمانى	لاحكم قاض ولا أمير
هذا كشمس الضحى جمالا	وذا كبدر الدجى المنير
فكان منى ومن قرينى	اليهما وثبة المغير
فمن رأى حاكما كحكمى	أعظم جورا بلا نكير ^(١)

ومعه أيضا ما يرويه ابا الفرج الاصفهاني فى الأغاني :

كان ابو محمد التيمى يهوى غلاما ، كان الغلام يهوى جارية فكان بها مشغولا عنه فقال
التيمى فى ذلك :

ويلى على أغيد مكور	وساخر ليس بمسحور
تؤثره الحور علينا كما	نؤثره نحن الحور ^(٢)

وممن تغزلوا بالغلماان ايضا مطيع بن أباس :

وليس يعمتم إلا	سكران مع سكران
يسقيه كلام غلام	كأنه غصنان ^(٣)

ومنه قول البحتري يتغزل فى غلام:^(٤)

نبتت لحية (شقر)	ان شقيق النفس بعدى
حلفت ، كيف اتته	قل ان ينجز وعدى

وعلى هذا النحو تغزل الشعراء فى الغلمان ، ولم يكتب لئلا هذا الغرض الذبوع
والاستمرار ، واتجه الشعراء - يومئذ - الى الغزل بنوعيه العفيف والصريح ، وارتبط
الاخير فى اغلب نماذج بالخمريات اما الغزل المذكر فى غلمان القصور وبيوت الاثرياء ،
فانقطع سبيله وانطفأ شعاعه .

(١) الاغانى ، للاصفهاني ج ٢٠ ، ص ٢٤٠ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) السابق ، ص ٥٨ .

(٣) السابق ، ج ١٣ ، ص ٢٩٢ .

(٤) الاغانى ، ج ٢١ ، ص ٤١ .

الطفل شاعرا :

رافد آخر نستطيع أن نكمل به صورة الطفل في التراث الشعري العربي هو الالتفات الى شاعرية الاطفال أنفسهم ، من خلال ذكر امثلة لنظمهم الشعري ومن ناقلة القول التأكيد مرة أخرى على اهتمام الأطفال العرب وشغفهم بحضور مجالس الادب وحلقات الرواة ومن ثم تكونت لديهم ملكة التذوق الأدبي ، ونظم بعضهم الشعر في سن صغيرة ، ومن بين هؤلاء الصغار يومئذ الشاعر الجاهلي (طرفة بن العبد) . فيما نسبه اليه الرواة انه نجح في نظم الشعر في سن مبكرة وقد أورد الديميري المصري صاحب كتاب حياة الحيوان الكبرى رواية تتصل بطرفة بن العبد وخروجه مع عمه على سفر ، فاستهواه صيد (القبرة)^(١)

وعندما عاد قال اول اشعاره في القنابر*، يستعيد ويصف النقاط القنابر للحب فيذكر :

يالك من قبيرة بمعمر	قد رفع الفخ فماذا تحذري
قد ذهب الصاد عنك فابشري	خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري	لا بد يوما ان تصادي فاصبري

واذا قرأنا اخبار كعب بن زهير في الاغانى لوجدنا كيف اهتم الاباء بتعلم الابناء الشعر وإنشاده واجازته وبالتالي اذاعته على الناس . وزهير اجاز غير مرة ابيات شعرية لأبنه كعبا ، بعد دربه وتثقيف معه ، فكان يبدأ بإنشاء نصف البيت (صدره) ليكمل عجزه ، أى يطلب منه أن يكمل البيت ، ومن ذلك ما ينسبه الرواة إلى أن أول قصيدة انشدها كعب بن زهير وهو فتى ، ومنها هذا البيت :

أبيت فلا أهجو الصديق ومن بيع
بعرض أبيه في المعاشر ينفق^(٢)

وأخبار ليبيد بن ربيعة في الاغانى - كذلك - تدلنا على مدى قدرته على انشاء الشعر صغيرا ، وقد بدأ ليبيد بن ربيعة يقرض الضعف في اطار الفخر القبلي في تعصب لاعمامه

(١) الاغانى ، ج ٤١ .

(٢) الاغانى ، للاصفهاني ، ج ١٨١ ، ص ٦٣٥٩ .

* حياة الحيوان الكبرى ، الديميري ، مادة القبرة .

من بنى عامرا ، فيهجوا أخواله من بنى عبس قائلا :

نحن بنى أم البنين الأربعة	سيوف حزن وجفان مترعه
نحن خيار عامر بن صعصعه	الضاريون السهام تحت الخيضعه
والمطعمون الجفنه المددعه	مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه (١)

وما هي حوارية أدبية طريفة دارت في صدر الاسلام بأحد مجالس العرب وكان الرسول (ﷺ) قد وفد معه صاحبه ابو بكر على مجلس من مجالس العرب فأخذ الصديق يسأل الحضور في أنسابهم ويطولونهم ، فلما أنتهى من ذلك قام اليه (عقل بن حنظله) يومئذ غلام صغير وأتشد :

ان على سائلنا أن نسأله والعبد لانعرفه أو نحمله

وأخذ الصبى يستفسره ويحاوره ، حتى أحس أبو بكر بالدهشة من بلاغة الصبى وبيانه وحسن محاورته فرجع الى رسول الله والغلام ينشد :

وافق دار السيل در يدفعه يهضيه حيناً وحيناً يصدعه

فتبسم الرسول (ﷺ) وقال ابو بكر عبارته المشهورة التي ضربت مثلاً من بعد : "ان البلاء موكل بالمنطق" ومن اللافت للنظر أن عقل بن حنظلة عمر طويلاً فأدرك ولاية معاوية ووفد عليه فسأله يوماً : بم أدركت هذا العلم ؟ قال : بلسان سنوول وقلب عقول (٢) .

وظهرت ملامح شاعرية ابي الطيب المتنبي وهو في عمر الصبا ، واول شاعر نظمته ارتجالاً قوله وهو صبى:

يا أبى من ودته فافترقنا	وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولاً فلما التقينا	كان تسليمة علي وداعا

(١) السابق ، للاصفهاني ، ج ١٦ ص ٥٧٨ .

(٢) انظر المحاوره تفصيلاً بكتاب . ابناء نجباء الانياء ، معد بن ظفر ص ١٠٧ - ١٠٨ .

وقال فى صباه وهو فى المكتب (الكُتّاب) يرد على المتعجب من شَعْرهُ المجتمع على رأسه:

لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة بعليها من كل واقى السبال

وقال ايضا فى صباه ، وقد أهدي اليه عبيد الله بن خلكان هدية فيها سمك ونحوه، فقال ارتجالا :

هدية ما رأيت مهديها إلا رأيت العباد فى رجل
أقل ما فى أقلها سمك يسبح فى بركة من العسل
كيف اكافى على أجل يد ومن لا يرى أنهل يد قبلى^(١)

فى ضوء ذلك يمكن القول ان أمارات الموهبة الشعرية ، تظهر عند الشاعر أى شاعر ، فى سن مبكرة ، ولكن تدوين شعر مرحلة الطفولة عند معظمهم . تخفيه عاديات الزمن ، فضلاً عن عدم إكثارات الشعراء انفسهم فى مرحل صباهم بتدوين محاولتهم الأولى ، وأما ما تنقله الروايات المدونة من شعر مرحلة الطفولة فدليل على توثيقه وتدوينه وصحة نسبه تبعاً لتتبع أخبار روايته . ولقد رأينا مخايل الموهبة الشعرية عند الشاعر العباسى ابن المعتز تبدو فى سن صغيره ومن شعره فى مرحلة طفولته نعرض هذه النماذج^(٢)

لا تمنعن العلم طالبه فسواك ايضا عنده خبر
كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعر

وقال ايضا فى صباه :

أصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

(١) ابو الطيب المتنبى حياته وشعره ، عباس محمود العقاد ومجموعة من الكتاب ، ص ١١١ - ١٢٥ ، ط المكتبة الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
(٢) معجم الادباء ، لياقت الحموى ، ج ٢ ص ٤٧ .

ومنه أيضا قوله وهو طفل صغير لم يبلغ سن الشباب :

ومن شر أيام الفتى بذل وجهه إلى غير من حقت عليه الصنائع
متى يدرك الإحساس من لم تكن له إلى طلب الاحسان نفس تنازع

وقبيل نهاية مرحلة الصبا وعمر (عبد الله بن المعتز) يومئذ ثلاثة عشر سنة كتب الى مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي شعره يقول فيها :

أصبحت يا بن سعيد حزت مكرومة عنها بقصر من يحفى وينتعل
وسر بلتني حكمة قد هذبت شيمي وأحجت غرب ذهني فهو مشتعل
أكون إن شئت قسا في خطابته أو حارثا وهو يوم الفخر مرتجل
وإن أشأ فكزيد في فرائضه أو مثل نعمان ما ضاقت به الحيل
أو الخليل عروضا أخا فطن أو الكسائي نحويا له علل

وصورة الطفل في تراثنا العربي كما نعرضها في هذا الجانب : الطفل شاعرا تمثل مرحلة هامة في حياة الشاعر ، اذا يذيع شعره بين الناس ومن بعد - ربما يستعيد ذكراها وتجربتها البكر الوليدة معه ، يقول البحتري مخاطبا الطبيعة وقد رد اليها جمالها ويعاوده الامل فيتصاوى :

قد تصايبت فاعذرى أو فلوئى ليس شئ من الصبا من شأنى

ويطالعنا البحتري في أبيات نظمها (*) فيذكر متغزلا :

الا يا هبوب الريح قبلغ رسالتى سليمي وعرض بى كائنك مازح
وعنى اقرئها السلام وقل لها زعمت بالا يكتم السر بائع
فإن سألت عنس سليمي فقل لها به غير من دائه وهو صالح

* يقول د . شوقي خفيف (أن ملكته الشعرية تفتحت في سن مبكرة انظر . الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٨٨) ينظر أيضاً الاقتضاب في شرح ادب الكتاب للبطلوس ، تحقيق مصطفى السقا ، د . حامد عبد المجيد ، ج ١ ص ١٠١ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .

وهذه محاوره أو جانب الهجاء ، دارت بين شاعر تغلب كعب بن جميل والأخطل (وهو يومئذ صبي غريب) قال الأخطل :

وسميت كعب بشر العظام وكان أبوك يسمى الجمل
وأنت مكانك من أوائل مكان القراد من أسست الجمل

وعندما لج بينهما الهجاء قال كعب جميل : أن غلامكم هذا لأخطل (١)

وبعد . . فقد طوف هذا المبحث مع نماذج شعرية في أدبنا العربي بهدف التأكيد على وجود الدعائم التراثية في مجال أدبيات الطفل ، وهي دعائم تقوم على رؤية العقل العربي والمبدع العربي لصورة الطفل ، كما جسدها خيال الشعراء ونظم الرجاز أو كتبها الشعراء بأنفسهم في طفولتهم . وقد اجتهد المؤلف قدر طاقته ليعرض صورة الطفل في الشعر المدون من أدبنا الرسمي وهي صورة توزعت ملامحها عند معظم الأغراض الأساسية المعروفة في شعرنا الموروث بقي أن نسجل في خاتمة هذا الفصل التأكيد على : وجود أغاني الاطفال الشعبية في حياة الجماعة وهي تتدرج تحت مظلة الادب الشعبي ولها أهميتها في الامتاع والتسلية والفائدة بنفس مقدار الأشعار القصار في الادب الرسمي غير ان اغاني الاطفال الشعبية تخضع للتعديل في نصوصها بالحذف أو الاضافة وفق استعمال الجماعة لها جيلا بعد جيل ، وتتنوع اغاني الطفل في الادب الشعبي فتشمل اغاني اللعب ، واغاني المناسبات واغاني المعتقدات وهي تمتاز بالتبسيط والاعراب في الخيال لتشويقهم ، وتصاحب هذه الاغاني الاطفال في مدارج لعبهم ، في سلامهم وخصامهم وما من حادث أو فراغ في حياة الطفل إلا وتملؤه امه بالأغاني "والحواديت" والمناجاة بالمنظومات تنميته على أغنيات ، وتفرحه باخرى وتشجعه على محاكاة الكبار وتعلمه الكلام بمنظومات بسيطة ذات جرس قوي .

(١) ديبان البحري ، بتحقيق حسن كامل الصيرفي ، مج ١ ، ص ٤٦١ ، ط ٢ دار المعارف ١٩٧٧ .

«بابات خيال الظل»

بابات خيال الظل وهو لون من ألوان الأدب الشعبي له جذوره التراثية وليس وليدا لشواهد العصر الحديث كما يتصور بعض الباحثين بقوله : ان بابات خيال الظل القديمة ، بل تلك التي كانت ذائعة في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن تكفى للتعرف على عادات كثيرة وأنحاء شتى من الحياة الشعبي وهي من النصوص الموضوعة للتسلية والامتناع^(١) وقد أورد الدكتور الطاهر مكى فى كتاب لابن حزم حقه وعلق عليه أورد فقرة منه فيذكر: (أشبه ما رأيت بالدنيا خيال الظل ، وهى تماثيل مركبة على مطحنه خشب تدار بسرعة فتغيب طائفة وتبدو أخرى)^(٢) يقول د . الطاهر مكى فى تعليقه على ماورد بهذه الفقرة التى أوردها ابن حزم الاندلسى فى كتابه «الاخلاق والسير فى مداواة النفوس» (هذه الفقرة بالغة الاهمية فى التاريخ لفن خيال الظل ، لانها تعنى انه وجد فى الاندلس فى فترة مبكرة ، تعود الى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر الميلادى . ويرجع الدارسون ان هذه اللعبة وقدت الى مصر خلال العصر الفاطمى ، من الصين ، أو الهند أو جارة وانتقلت من مصر الى الاندلس أ . هـ . ويميل المؤلف الى الأخذ بالرأى السابق لأن ريادة خيال الظل فى الشرق كما يردّها أحمد تيمور باشا فى كتابه «خيال الظل الى جعفر الراقص - فيها نسب ضعيف - ولأن استقراء مخطوطة الصفدى(*) التى اتكأ عليها صلاح الدين بن ابيك الصفدى فى نسب اختراع خيال الظل الى جعفر الراقص بسبب ابيات من الشعر تتحدث عن الرقص تحت فصل بعنوان : فصل الختام عن التورية والاستخدام اما مقولة أحمد تيمور باشا ان خيال الظل لعبة وجدت بملامى القصر مدة الفاطميين فهى مقولة تتفق ورواية د . الطاهر مكى والمستشرق الالماني بول كالا* وذلك لازدهارها فى زمن الفاطميين ، وقد رأى د . ابراهيم حمادة ان الأدب العربى (الشعبى أو الرسمى) تقبل ادبيات المخيلة فى بطاء كما يرد زمن نشأة خيال الظل فى العالم الاسلامى والعربى إلى فترة بدأت فى اواخر القرن العاشر الميلادى وأوائل القرن الحادى عشر^(٣) .

(١) الادب الشعبى ، أحمد رشدى صالح ، ص ٢٥٥ - ٢٢٤ ، ط الهيئة المصرية ١٩٧١ .

(٢) الاخلاق والسير فى مداواة النفوس ، لابن حزم ، تحقيق وتعليق وتقديم د . الطاهر مكى ص ١٢١ - ١٢٢ .

(*) انظر ديوان الصفدى ، موطه بخط يده سنة ٧٢٨ هـ ، مخطوطة يدار الكتب تحت رقم ١٨٤ ٧٧٦ خيال الظل ، أحمد تيمور باشا ، ص ٢٢ ، دار الكتب العربى ١٩٥٧ م .

(٣) خيال الظل وتمثيلات ابن دانيال ، دراسة وتحقيق ابراهيم حمادة ص ٤٥ ط وزارة الثقافة ١٩٦٣ م

ولو أردنا التأكيد على وجود منظومات شعرية كتبها الشعراء في الراقصين أو في المخيلين بمثابة أدلة كافية لنشأة هذا الفن ، لكان ذلك امرا يسيرا فالتراث العربي القديم يزخر بذلك ومنه :^(١)

ليس المحاسن عند خلع لباسه	منوع الحركات يلعب بالنهي
كالدهر يلعب كيف شاء بناسه	بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا
كالسيف ضم ذبابة لرئاسه	ويضم للقدمين منه رأسه

إذا خيال الظل فن أدبي يقوم على عناصر مادية وبشرية - بل هو الجنين اليافع لمسرح العرائس - الذي يالف الصغار ، والكبار وكذلك . إن المخيلة الفنية بالتمثيل والشخص المألوفة وغير المألوفة بأسلوب نثرى وشعري من خلف ستار هي الارهاصات الأولى لميلاد مسرح الطفل أو مسرح العرائس . ولا جرم اذا تطورت المخيلة الفنية (خيال الظل) الى المخيلة الشعبية المبهجة (الاراجوز) ، وقد يقول قائل : ما علاقة ذلك بأدب الطفل ؟ وللمرد على تلك المقولة نستطيع القول في اطمئنان ان بابات خيال الظل شكل من اشكال التعبير في الادب الشعبي ، له علاقة محببة بعالم الطفولة ، وقد نما وتطور عبر تاريخنا الأدبي وهو يحتوى على مادة نثرية وشعرية (أشهرها نصوص ابن دنيال التمثيلية) سواء أكان خيال الظل قد نشأ لعبة في بداياته ثم تطور كفن تمثيلي ومسرح عرائسي في ذروته ، فإن الازجال والأشعار التي كانت تروى على السنة شخص بابات خيال الظل ويفهمها الاطفال ويتذوقونها ويستمتعون بها - فهي تقترب من مفهوم أدب الطفل وان خيال الظل في فلك الأدب الشعبي .

إن علاقة خيال الظل بأدب الطفل كعلاقة اللعب بالطفل ، فخيال الظل يتمتع عقل الطفل،

لأنه ايها بالصورة واللعب ترجمة انطباعات الطفل الى انفعالات محسوسة ولذلك وجدنا أغاني اللعب تنتظم حياة الجماعة العربية وكم من قصص دارت حول الالعاب في أدبنا الشعبي وفي أدبنا الرسمية يقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس (٢) .

(١) المغرب في حلى الغرب ، لابن سعيد ، تحقيق ، د . شوقي ضيف ، ص ١٢٧ .

(٢) خيال الظل ، احمد يتمر باشا ، ص ٢٣ ط القاهرة ، ١٩٥٧ .

عهدتني ناشئاً ذا غرة رجل الجمعة ذا بطن اقرب
اتبع الولدان ارضى منزى ابن عشر ، ذا قريط من ذهب
وهى اذ ذاك عليها منزل ولها جوار من لعب

ان مادة أدبيان الطفل التى عرضنا لمنتخبات منها ونحن نستقرئ الطفل فى تراثنا الشعري فى تراثنا ، مادة كافية لإثبات وجود كجنس أدبي فوق خارطة الأدب الرسمى وألفينا الطفل كذلك يمثل شريحة عمرية كبيرة وهامة فى أى مجتمع . تتلقى الأدب كأي شريحة أخرى ، من المتلقين والمتنوقين للأدب فى صفوف المجتمع ، أما الحاق النتاج المعرفى بأدب الأطفال فنعه من الخلط الواضح فى تحديد دقة المصطلح الأدبي .

إن أدب الطفل فى أدبنا الرسمى هو جنس أدبي مركب تتعدد أشكاله، شأنه شأن باقى الأنواع الأدبية لا يميزه عنها من فروق دالة سوى الفروق فى الخصائص المعرفية والإدراكية بين الصغار والكبار ، وبالتالي الفروق الفنية بين أدبيهما .

الترنيمات الشعرية الغنائية والطفل

(أغاني المهد (أغاني الترقيص))

يؤثر الأدب في نفوس الصغار مثلما يؤثر في نفوس الكبار مع اختلاف في طبيعة ودرجة هذا التأثير ، لأن الأدب في مجمله غذاء للوجدان والعقل ، وهذا الغذاء لا يختلف في أصل مادته بالنسبة للصغار والكبار ، ولكن طريقة عرض هذا الغذاء واسلوبه وكميته لا بد وأنها تختلف عن غذاء الكبار حتى يستطيع الأطفال التمثل والفهم ، وليس من شك أننا واجدون أن العقل العربى كان على وعى - من نوع خاص- بالفروق الدقيقة بين الشعر الموجه للكبار ، وأغاني المهد أو أغاني ترقيص الطفل إذ أحسن العربى بفطرته وفوق خصائص مراحل النمو والإدراك ، وكذلك مثيرات الإحساس عند هؤلاء الصغار ؛ فصاع لهم أغانيهم أو مقطوعات شعرية عنهم ولهم .

وكتب اللغة والأدب والأخبار وغيرها خاصة بأغاني ترقيص الطفل والأمهومات الشعرية المصاحبة لفترة المهد ، والطفل في هذه المرحلة المبكرة من مراحل طفولته يعيش في بيئة محددة محسوسة ، وهذه الأمهومات أو أغاني الترقيص تخاطب طفل المهد في لغة سهلة(*) وكلمات موزونة فترقيص الصبيان(بالغناء والكلام الموزون من طبائع الإنسان أنى وجد وكان من الخصال الحميدة التى(تقصدها العرب) لتربية الطفل وتهذيبه : ترقيص الطفل بالمقاطع الشعرية ، وكان للعرب نصيب موفور من هذه المقطوعات الشعرية اشتهرت في أخبارهم وأثرت عنهم في مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم ، وكانوا يتخذون هذا الترقيص بالغناء وسيلة ترفيه وتسلية ، وبجانب ذلك كانوا ييغون به غرس جميل الخصال وحميد الفعال قى ذهنه قبل ان يشتد عوده ويكبر وقد تمكنت منه الأخلاق ونقشت فى مخيلته الصفات ، وانطبعت فى قلبها القدوة (١) .

* من الثابت أن(عقل طفل المهد - رياض الاطفال) لا يدرك الالفاظ الغريبة ، لان التداخل (التراكب) ، على عكس السهولة ، كما ان التثبيح فى طول الكلام واضطرابه يمثابه سبورا لغوية أمام مخيلة الطفل ، فالالفاظ الغريبة الخشنة بعيدة الاستعمال صعبة الافهام اتصلح كرماء لافاني الترقيص الخاصة بالطفل بينما تصلح اللغة البسيطة لذلك لأن الفاظها فصحة ميسرة خفيفة على السمع واللسان ، سهولة النطق ، واقتصرها وكثرة استعمالها . وقديما قال الجاحظ ، كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا ولا ساقطا ولا سوقيا فذلك لا ينبغي ان يكون وحشيا ، وقال الجرجاني :ان كل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به اخس وأولى وضروب من العبارة هو يتأنيته اقوم ، وهو فيه اهلئ ، ١ . هـ .

(١) الغناء للأطفال عند العرب ، د . أحمد عيسى ، المقدمة ، ط بولاق القاهرة ١٩٣٦ م .

بلغت عناية العرب القدماء بأغاني الأطفال أن توفر على جمعها في كتاب بعنوان "الترقيص" أو المرقصات والمطربات "أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي ، وقد أشار لذلك بن حجة الحموي في خزانة الأدب والسيوطي في المهر وكارل بروكلمان في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي ، وتتناثر أغاني المهد وأشعار الترقيص في كتب: الاغاني للأصفهاني ، ثمار القلوب للثعالبي المستطرف في كل فن مستظرف للأشبهى ، محاضرات الادباء للراغب ، المعارف لابن قتيبة ، العقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها من كتب اللغة والأدب والأخبار وفي العصر الحديث قام الدكتور أحمد عيسى بنشر نماذج من أغاني ترقيص الأطفال نقلا عن المصادر الحديث التراثية التي أشرنا إليها ، وقد طبع تلك النماذج في كتاب "الغناء للأطفال عند العرب" وأشار في . مقدمته الى فضل ريادة العالم اللغوي النحوي لمحمد الأزدي في الجمع الأول لأشعار ترقيص الطفل . ويضيف د . شوقي ضيف في كتاب "المغرب في حلى الغرب" لأبي سعيد كتابا جديدا في هذا المجال بعنوان "المرقص والمطرب" لابن سعيد الأندلسي ، فهو الثاني من نوعه في المكتبة التراثية بعد كتاب "الترقيص" للأزدي في القرن الرابع الهجري .

وكنا نود أن نقف على مادة كتاب الأزدي لكن هيهات لم تقع أيدينا على أصله المخطوط أو مكانه المحفوظ . أو حقيقة ماأل اليه أمر هذا الكتاب . أما صاحب خزانة الادب أو صاحب المزهرة فلم يشيرنا كذلك إلى أية معلومات وافية حول هذا الموضوع أو حتى ترجمة للأزدي صاحب الكتاب - بل واقتصرنا على إبراء نماذج* - أغاني الطفل تضمنتها كتاب "الترقيص" أو "المرقصات والمطربات" للأزدي . وفي ضوء ذلك فالكتاب بحاجة الى تتبع أصوله وتحقيقه ، أما المؤلف فمن الثابت انه احد تلاميذ النحوي ابن دريد ، على نحو ما ذكر كارل بروكلمان وقد توفي ابن دريد عام ٣٢١ هـ والمؤكد ان أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي عاش في القرن الرابع الهجري لعدم ذكر المصادر الأدبية للتاريخ مولده ووفاته؛ ولو تتبعنا من جانب آخر فلسفة العرب القدماء للعمل الادبي سنكشف أهمية ما تحققه أغاني المهد وأشعار ترقيص الطفل متعة وفائدة فالمسلمون يقسمون القوى المدركة الى قسمين : الإدراك الحسي (الحس) ، والإدراك العقلي وقد حرصوا على أن يكون

* انظر : خزانة الألب ، ص ١ - ١٧ ج ٤ ، والمزهر ، ص ١٧١ ، ١٩١ ، ٢١٢ ج ١٤١٨١ ، ١٦٩ ، ١٥٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣١ ، ج ٢ . وتاريخ الألب العربي لكارل بروكلمان ج ٢ ص ١٨٥ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ، والاغاني للأصفهاني وغيرها .

هناك توازن بين اللذة والفائدة (المتعة والمنفعة) في العمل الفني وحرصوا ايضا على أهمية الشعر في تحصيل الفضائل وبوره الاخلاقي ، فالشعر يهدف الى الخير ويساعد على تكوين النشئ^(١) أننا نحكم على إبداع ما ونقيمه ، حسب ماله من منفعة واقعية أو ممكنة الوقوع حاضراً أو مستقبلاً من الناحية الروحية أو الفكرية أو المادية، (والمرء لا يغنى إلا بعدما يشعر بميل الى الغناء ، ويحس بحاجة الى التعبير عن مشاعره ، ويدور المبدع هو قبل كل شيء اكتشاف الاسلوب المطابق للمفاهيم التي توجد في بيئته وفي عصره)^(٢).

والبيئة الخاصة بالطفل بيئة صالحة للنقش فوقها لما نريد له من إمتاع وإشباع يحققان المعنى الوظيفي لأدبيات الطفل، والبناء الوجداني للطفل مطلب واقعي نسعى لتحقيقه ، وقد اكتشف القدماء الأسلوب اللغوي الملائم لبناء مادة أغاني المهد على نحو ما ستوضح أغاني الترقيص التي نذكرها من بعد فالاساليب سهلة ، موجزة تنسم بالبساطة والايقاع الموزون، والتكرار المحبب أو والجمال الشعرية القصيرة الدالة ، وبذلك حقق القدماء المفهوم المتجدد القائل بأن (أول ميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه)^(٣) وفي ضوء ذلك عكف المنشئون العرب يصيغون للطفل المنظومات الشعرية ذات البحور الخفيفة الملائمة لعقل الطفل وإدراكه ، مع حرصهم على ضرورة صدور المنظومات الشعرية للطفل مجردة من التراكيب الشعرية الصعبة والألفاظ المستفربة والبحور الشعرية الطويلة المحملة بالجمال الشعرية المركبة . فالبنية الأساسية في لغة الشعر الموجه للطفل تخلو أو تكاد من الألفاظ الجزلة والغريبة والصعبة ، ولا يضئير شعر الأطفال أن ألفاظه سهلة ، بسيطة شريطة ان تجمع بين الإيحاء البسيط والمضمون الدال ، - فللصغار مثل الكبار - قاموسهم اللغوي والعقلي والجسمي ، وما يهمنا في هذا الإطار هو استثارة الإبداع عند الطفل على نحو ما صنع القدماء يتلقينه مقطوعات شعرية خفيفة أصطلح على تسميتها بأغاني الترقيص أو أغاني المهد أو اشعار يفهمها الكبار والصغار معا ، وقبل عرضنا لنماذجها المدونة في كتب اللغة والأدب ، تستقرئ المعنى اللغوي والأصطلاحي لأنواعها .

(١) نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، ألفت الروبي ، المقدمة ، دار التنوير بيروت ١٣٨٣ م .
(٢) دراسات فلسفية د . محمد عبد العزيز الحياتي ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ، ط دار المعارف ١٩٧١ م .
(٣) النقد الادبي الحديث ، د . محمد فتحي هلال ، حر ٢٨٦ ط القاهرة د . ت .

أشعار الترقيص :

يحسن أن نبدأ بتعريف المعجم اللغوي لأغاني ترقيص الطفل والتي تدور أصولها اللغوية حول مواد "غناء" و"رقص" و"طرب" و"قطع" و"نشد" من الغناء والترقيص والتطريب بالكلام الموزون في قالب المقطوعات الشعرية القصيرة مما ينشد الطفل ، ففي المهد(الصبا المبكر) : تدلنا مادة مهد في لسان العرب لابن المنطور ، على أن المهد : مهد الصبى ومهد الصبى موضعه الذي يهين له والجمع مهود ، والمهاد الفراش ، وقد مهدت الفراش مهداً : بسطته ووطأته والجمع أمهدة، ومهد (١) والذي يعنينا هنا هو المهد : الصبى ، لاقتران الجمع مهود أو أمهودات بأغاني الطفل في فترة الطفولة المبكرة ، وفي القرآن الكريم ما يشير الى اقتران المهد بالصبا يقول عز من قائل: "من كان في المهد صبياً" والغناء بالكسر من السماع . قال ابن الأعرابي : كانت العرب تتغنى بالركباني اذا ركبت الابل ، واذا جلست في الافنية وعلى أكثر أحوالها ، والركباني هو النشيد يتغنى به . وفي حديث عائشة رضي الله عنها : وعندي جاريستان تغنيان بغناء يوم بعث ، وهو حرب كانت بين الأنصار . وقال أبو العباس: الذي حصلناه من حفاظ اللغة من قوله ، عيسى عليه السلام ، كآذنه لنبي يتغنى بالقرآن إنه على معنيين : على الاستغناء وعلى التطريب ، فهو من الغناء الصوت (٢) أمامادة طرب اللسان : طرب : تغنى ، قال امرؤ القيس: (٣) .

يفرد بالاسحار في كل سدفه تغرد مياح الندامى المطرب

ويقال : طرب فلان في غنائه تطريباً إذا رجع صورة وزينه ، والتطريب (٤) في الصوت مده وتلحينه ، وطرب في قرأته : مد ورجع ويقال رقص يرقصا قال حسان :

بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل

والعرب تقول : رقص البعير يرقصا ، اذا أسرع في سيره . وأرقصت المرأة صبيها ورقصته : نزته . لاطفته باللعب والغناء . . قال اعرابي :

واذا ترقصت المغازة غادرت ريذا يبغل خلفها تغفلا

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (مهد) ص ٤٢٨٦ ، ط - دار المعارف د . ت

(٢) السابق ، مادة (غنا) ص ٢٣٠٩ .

(٣) نفسه ، مادة (طرب) ص ٢٦٤٩ .

معنى ترقصت ارتفعت وانخفضت والربذ السريع الخفيف^(١) .

وليس المقصود من الكلام الذى اوردته ابن منظور فى اللسان حول معنى الرقص أو الترقيص فى مادة(قص) المفهوم الحاضر للرقص المرتبط بالحركة الجسدية مع الموسيقى فقط فى سائر أنواعه ، لكن أهم ما يلفت إليه رابطة الإيقاع الحركى المرتبطة بالغناء ويتهنين الطفل عن طريق الترنيمة أو الانشودة فى أول مراحل نموه ، تتطور معه الى المنظومات والمقطوعات الشعرية .

ومادة (قطع) فى أحد أصولها اللغوية تعنى: تقطيع الشعر أى : وزنه بأجزاء العروض وتجزئته بالأفعال . ومقطعات الشئ : طرائقه التى يتحلل اليها ويتركب عنها كمقطعات الكلام ، ومقطعات الشعر ومقاطعها . قال ابو عمرو : مقطعات الشعر : قصارها ، والمقطعات : الابيات القصار ، وسميت الأراجيز مقطعات لقصرها ويروى أن جرير بن الخطفى كان بينه وبين رؤية العجاج إختلاف فى شئ فقال : أما والله لئن سهرت له ليلة لأدعنه ، وقلما تغنى عنه مقطعاته ، يعنى أبيات الرجز^(٢) . والتشيد لغة : فعيل بمعنى مفعول والتشيد : الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضه بعضا . . قال الجعدى :

أنشد الناس ولا أنشدهم إنما ينشد من كان أضل

والتشيد رفع الصوت وإنشاد الشعر إنما هو رفع الصوت ، والتشيد من الأشعار^(٣) والرجز هو عمدة الأشعار القصار لأنه أخف على لسان المنشد واللسان به أسرع من القصيد . . وسمى - الرَجَز من الشعر لتقارب اجزائه وقلة حروفه وقال ابن سيده : والرجز شعر ابتداء اجزائه سببان ثم وتد ، وهو وزن يسهل فى السمع ، ويقع فى النفس ، والرجز بحر من بحور الشعر معروف ، ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه منفرداً ، وتسمى قصائده أراجيز ، وأحدثها أرجوزة رجز الراجز يرجز رجزا ، وارتجز الراجز ارتجازا : قال ارجوزة . . وأصل الرجز فى اللغة تتابع الحركات ، ومن ذلك قوله : ناقة رجزاء ، إذا كانت قوائمه ترتعد عند قيامها ، ومن هذا رجز الشعر لانه أقصر أبيات الشعر، والانتقال

(٢٠١) نفسه ، مادة (رقص) من ١٧٠٤

(٢) السابق ، مادة (نشد) من ٤٤٢١ - ٤٢٢ .

من بيت الى بيت سريع" (١) وفى المعجم الوجيز ، الرجز : بحر من بحور الشعر ، أصل وزنه : مستقعلن ست مرات .

والارجوزة : المقطوعة من بحر الرجز (ج) اراجيز والراز من ينشد الرجز او ينظمه(٢) وفى العصر الحديث يرد د . مجدى وهبة الرجز على اساس انه وزن شعبي فيذكر : الرجز من البحور القديمة فى الشعر العربى ، وهو الوزن الشعبى الذى ساد فى العصر الجاهلى ، وكان لا يتجاوز البيتين أو الثلاثة ، ويتكون بيته من مستقعلن مكررة ست مرات أو أربع . وأول من أطاله الأغلب العجلى الشاعر المخضرم(٣) . بينما قال الرواة(أن الشعر كله إنما كان رجزا وقطعا وإنه نما قصيد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وأمرؤ القيس . وأول من طول الرجز وجعله كالقصيد الأغلب العجلى ثم أتى العجاج بعده ، فأقن فيه فالأغلب العجلى والعجاج فى الرجز كأمرؤ قيس ومهلهل فى القصيد(٤) .

الاشعار القصار بين الغناء والايقاع :

فى ضوء الاستقراء اللغوى السابق الاشارة إلى أن الأقدم من الأشعار هو الأقصر والأنقص ، والمستعمل للرقص هو الأخف من الأشعار والأقصر هى المتقدمة بالزمان لأن الطباع أسهل وقوعا عليها أولا . والأقصر هى التى تكون من نعمات أقل أيضا (٥) وأرسطو بتلك المقولة يرد نشأة الاشعار القصار إلى ميل الطبيعة البشرية إلى الانسجام والايقاع منذ فجر التاريخ وإمعان النظر فى اداب الشعوب القديمة يثبت بجلاء أن الميل أو الأحساس بالإيقاع والنغم ، غريزى لدى معظم الناس .

ويقال فى المأثور : فى البدء كان الايقاع ، إيقاع السير او نبض القلب أو حركة الجسم أو حركة الكون المنتظم . وقديما تحدث أفلاطون عن الايقاع على نحو يوحى بأنه يعتمد

(١) تلسه ، من ١٥٨٨ - ١٥٨٩ .

(٢) المعجم الوجيز ، من ٢٥٦ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

(٣) معجم المصطلحات الأدب ، د . مجدى وهبة ، من ٤٦٢ ، بيروت ، د . ت .

(٤) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق ، من ١٢٥ .

(٥) تلخيص كتاب أرسطو فى الشعر ، تحقيق وتعليق د . محمد سليم سالم من ٧٢ - ٧٣ ط القاهرة ١٩٧١ .

اساسا على الحركة فيذكر(انك تستطيع أن تميز الإيقاع في تحليق الطيور ، ونبض العروق، وخطوات الرقص ومقاطع الكلام^(١) .

وتعليق علماء اللغة العرب لنشأة وتسمية الاشعار القصار القديمة ، يتفق ووجهة نظر ارسطو وافلاطون وغيرهما من المهتمين بأصول وقواعد الفنون والآداب ، فكلما الإيقاع Rhythm تشتق في اللغات الاوربية من لفظ Rhythmos اليوناني ، وهو بدوره مشتق من الفعل Rheein بمعنى ينساب أو يتدفق وفي اللغة العربية يرجح أن لفظ الإيقاع مشتق من التوقيع ، وهو نوع من المشية السريعة إذ يقال (وقع الرجل) أى مشى سريعا مع رفع يديه . ومن المعروف أن مشية الانسان من أهم الأصول الحيوية التي يرجع اليها الإيقاع . . فالانسياب حركة ، والمشي بدوره حركة وفي ذلك دليل قاطع على الارتباط الوثيق بين الإيقاع والحركة كما تشهد به اللغة ذاتها (٢) .

والارهاصات المبكرة لميلاد فن الشعر(*) وما تفرع من شجرتة الأولى من أشكال وأوزان في أدبنا العربي القديم تعود الى الكلام الموزون وللايقاع الخفيف المنعم ، الذي بدأ في أصوله الاولى مع السجع وانتهى في رحلة تطوره مع القصيدة(كان السجع وما يحمله من معادلة الفقر والتزام الإيقاع في كلام الانسان أول الميل لى التغنى به كما شاهد ذلك في صغار الصبيان ، فيظن أن متغنيا بسجع قع له سجعتان متوارتان وزنا سهلاً ، (قيل ان الرجز) فاعجبه ذلك ومضى فيه ، وتمت له قطعة من الشعر ، راقى من سمعها وحاكوه فيها ، وتغنوا بها فكان من ذلك المقطعات ، الارجيز القصيرة يحنون بها الابل ويعبدون بها المكارم ، ثم لما نمت ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضه امامهم نوعوا الاوزان وأطالوا القوافي وقصدوا القصيد^(٣) .

ونستطيع بشئ من الرصد التاريخي أن نجد في أغاني الحداء وأغاني حفر الآبار وأناشيد الجهاد الحماسية وتلييات قدامى العرب في الجاهلية مايمثل الارهاصات المنطقية

(١) مع الموسيقى ، د . فؤاد زكريا ، ص ٦٠ ط الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١ م .

(٢) السابق ، ص ٥٧ .

(٣) الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، أحمد الاسكندري وآخرون ص ٤٣ .

* ليس من اليسير حسم قضية ابتداء الشعر العربي ونشأته من زمن محدد أو عصر معين ، ولكن من السهولة تحديد "نوع" الشعر العربي في أصوله الأولى أنه بدأ وتطور غنائيا ، أما عن تحديد زمن نشأته

الأولى عند الوجدان العربى للتعبير عن هذه الظواهر بالكلام الموزون المنغم ، فمن تلبيات القبائل قبل الاسلام :

لبيك حجا حقا تعبدا ورقا

ومنه ايضا :

لبيك عن سعد وعن بنيها
وعن نساء خلفها تمنىها
سارى الى الرحمة تجتنىها

وتنوعت مثل هذه المقطعات أو الأقاويل الشعرية القصيرة فى الأغراض التى ذكرناها ، فكانوا ينظمونها فى سرائرهم ليلا حذاء وينظمونها فى مناسباتهم وينشدونها حماسة فى أيامهم وحروبهم ويرددونها رجز فى تلبياتهم وتهليلاتهم واستطاع رجاز القبائل ان يستوعبوا تلك الأغراض فى لغة فصحة ميسرة تتردد على الألسنة ، ومنه بعد ظهور الإسلام قول هند بنت عتبة فى يوم أحد :

ان تقبلوا تعانق ونقرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وقال عبد الله بن رواحه بعد صلح الحديبية :

خلو بنى الكفار عن سبيله
يارب إنى مؤمن بقليله
أعرف حق الله فى رسوله^(١)

= لقيه التباين الواضح فى آراء القدماء ، وقد عزا بعضهم شعرا عربيا الى آدم ، بينما اورد آخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد اسماعيل ، واستقرأ أيام العرب وتاريخ القبائل ، حروبها وأدائها (ويرجح الرأى) السائد بان الشعر العربى فى اتم صورة يعود الى الفترات الزمنية التى سبقت ظهور الاسلام . انظر- مروج الذهب السعوى ، ج ١ ص ٦٥ ، الاغانى للاصبهانى ج ١٢ ص ١٠٤ ، المقتطف والمختلف للامدى ، الفهرست لابن النديم ، المفضليات للمفضل الضبى ، الاصمعيات للاصمعي ، ومن المحدثين : تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، فى الانبى الجاهلى د . طه حسين ، مصادر الشعر الجاهلى د . ناصير الاسد وغيرها .

(١) السيرة لابن هشام ، ج ١ ص ١٥٥ .

وعلى كل حال تسمى الأرجوزة عند علماء العربية قصيدة ، يقول ابن رشيق تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز . . وليس ممتنع أن يسمى ما كثرت بيوته من شطور الرجز منهوكه قصيدة وقد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراها وباسم القصيد ما طالت أبياته لأن اشتقاق القصيد من قصدت إلى شيء كان الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة والرجز مقصودا أيضا إلى عمله كذلك .

فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان ، وكان العجاج وابنه رؤية يرجزان ومثلهما جرير والفرزدق ، وحميد والأرقط والعماني . . وليس يمتنع الرجز على المقصد امتناع القصيد على الراجز^(١) ومن يرجع إلى مدلول الكلمات التي عبر بها الشعراء القدامى عن الغناء والترقيص في أشعارهم لجزوة يجد بعضها يدل على ضروب من الحركات الجسمية كما يدل على ضروب من الشعر والهزج الذي يذكره اسحاق الموصلي يطلق على نوع من الغناء كما يطلق على نوع من الحركة الجسمية السريعة ، ومثله الرمل وكانوا يطلقونه على من يهز منكبين ويسرع في حركته وفي ذلك ما يدل على اقتران الغناء بالرقص من جهة ، وما يدل على اقتران الرقص بالشعر من جهة أخرى^(٢) ومهما يكن من شيء فإن المنايع الأولى للأشعار القصار القديمة بخاصة فن الشعر بعامة تعود إلى منابيع الإيقاع الموسيقي والحركي في البيئة الجاهلية من ناحية وإلى الغناء من ناحية ، فالإيقاع منبه للحواس ومثير للخيال ، والغناء ميل غريزي في الطبيعة البشرية ، ومن هنا (كان تأثير الغناء في موسيقى هذا الشعر الغنائي أوسع من تأثيره في معنيه)^(٣) وبالإمكان القول كذلك أن الأداء الحركي في الحرب وأغانى العمل وعند الحداء من ضبط الحركات وتنظيمها في تشكيل مرتب هو الذي تناغم في جانب آخر مع بداية ميل الإنسان للغناء على ضربات المذنين وإيقاعات الراقصين وبالتالي نشأ الوزن والإيقاع* في الشعر ، وإذا كانت بذرة

(١) العبداء لابن رشيق ، ص ١٣٠ - ١٣٢

(٢، ٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د . شوقي ضيف ، ص ٤٨ - ٧٠ .

* نشأ الشعر فيما يرى ابن رشد بسبب ميل الطبيعة البشرية إلى الانسجام والإيقاع فيذكر : أن السبب المولد للشعر في قوة الإنسان ، شيطان ، أغنى أن هذا الفعل يوجد للناس هم الأطفال وثانيهما التذاد الإنسان بالوزن والألحان أي الانسجام والإيقاع ، انظر : تلخيص كتاب أرسطو في الشعر لابن رشد ، بتحقيق محمد سالم ص ٦٩ - ٧٠ ط القاهرة ١٩٧١ وفي الشعر د . عبد الرحمن بدوي .

السجع ** فى تربة الأدب العربى القديم أنبتت مع غيرها فن الشعر بتطور اشكاله وأوزانه ، فإن علماء اللغة نهضوا بمهمة تقعيد القواعد للشعر تمييزا له عن النثر وعن الفقرات المسجوعة (فالنثر والشعر يستخدمان نفس الكلمات نفسها والتراكيب النحوية نفسها ، والاصوت نفسها ، ولكن مع اختلاف فى الاستثارة والتنسيق)^(١) لاجرم أن الخليل ابن أحمد هو الرائد فى مجاله يوم التفت الى تقعيد بحور الشعر العربى وأوزانه وتأصيلها فى علم العروض - ليحدث ولأن - والتنسيق أو النظام العروض الذى يميز الشعر عن النثر ، يقول ابن خلكان فى ذلك (معرفة الخليل صاحب العروض بالايقاع هى التى أحدثت له علم العروض)^(٢) .

وقد يقول قائل : لم رصدنا العناصر الأنفة فى ادبنا العربى القديم ؟ إن الاجابة عن تلك المقولة تكمن فى العلاقة الوثيقة بين عالم الطفل المولع بالايقاع وبين الكلام الموزون المنغم الموقع وبالتالي فإن تتبع تعريفات الايقاع الصوتى والحركى ، وما صاحب هذا الايقاع من الغناء كلام موزون يتفق كما ألحنا مع العالم الاثيرى للطفل من ناحية ، ويعمق من فكرة وجود إرهابات لمعايير فنون الطفل الشعرية فى تراثنا الأدبى القديم ومن أهمها أغانى الترقيمص ، والأشعار القصار من ناحية أخرى وتكاد تتفق رؤية المؤلف فى هذه الناحية مع رؤيه "بول فاليرى حول الشعر والفكر فيذكر (...وما أن يتعلم الطفل استخدام قدميه حتى يكتشف أن لايمكن السير فحسب بل الجرى أيضا وليس الجرى والسير فقط ، بل الرقص وعندما يكون وحيدا" سيردد على نفسه ما يجب من كلمات ، وهكذا فبالنوازى مع السير والرقص ، يكتسب الطفل ويميز نمطى الكتابة المتعارضين : النثر والشعر)^(٣) .

وقديما قال ابن رشيق القيروانى وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور . لكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديه ، فإذا اتفقت الطبقتان فى القدر وتساوتا فى القيمة ولم يكن

** يميل المؤلف الى تخريجات القدامى بان التشكيل الموسيقى والعروضى للأشعار القصار فى الادب العربى القديم تخلق بداية بين حنايا النثر المسجوع الذى نما الى الكلام موزون وهى اسجاع تختلف فى بنيتها عن النثر الفنى الذى نجده فى المقامات والخطب ، وكتاب العلامة ابن فارس الرازى - ٣٩٥ هـ - الاتباع والمزاجية (نسخة مخطوطة بادر الكتب المصرية برقم ش لفة) مثلا لاسجاع الكلام الموزون ، قال فى مقدمته وتحررت ما كان كالملقى وتركت ماختلف روييه ، أما فن الشعر فقد اكتملت صورته بتقعيد عروضه وأوزانه فالعرب توهموا اعراضه وخسروه وقوافيه فى زمن الجمع والتدوين فى القرون الهجرية الاولى .

(١) مجلة فصول ، مقاله الشعر والفكر المجرد ، بول فاليرى مج ٧ ، ع ٢/١ ص ٣١٤ أكتوبر ١٩٨٦

(٢) وفيات الاهيان ، لابن خلكان ج ١ ، ص ١٧٢ .

(٣) مجلة فصول ، المرجع السابق ، ٣١٤ مقالة الشعر والفكر المجرد ، ص ٣١١ .

لأحدا فضل على الأخرى كان الحكم ظاهرا فى التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه فى معترف العادة^(١) .

والظاهر أن مقولة صاحب العمدة هو الميل الى تفضيل الشعر على النثر(*) لكن الذى نرجحه من استقراء تلك المقولة هو التفاوت فى مراتب المنظوم والمنثور. والذى يهمنا: مراتب الشعر ، فالشعر الجيد وهو فى أعلى الطبقات ؛ ثم اوسطه ؛ فضعيف فى آخر الامر .

ليس هناك خلاف على أن الشعر الذى قصده فى أعلى مراتب الشعر يمكن أن نطلق عليه شعر العربية الموجه للكبار بمستوياته الصحيحة الفصيحة وفى لغة وتشكيله المعمارى وعروضا وأوزانا ، والمضمون المحكم فى أفكار قصيده ، أما "ردية" فمن الضعيف بحيث يتضمن الاغلاط التى نقيس بها الاحكام على أى شعر راقى : فهى أشعار ردية لأن بها اغاليط لغوية أو عروضية ، أو شابها فساد أو ضعف فى المضمون ، وتبقى الطبقة المتوسطة من الشعر فهى ليست بشعر ردى أو من شعر الطبقة العالية وإنما تقف بينهما موقف القصد والاعتدال فى المستويين: اللغوى والفنى ، ولا يمكن الجزم بعبارة ابن رشيق حول الشعر والنثر ، وإنما عنى بالضرورة عند المساواة بين النوعين النثر والشعر ، اذ يحسب للشعر التميز عن النثر .

وتحليل مقولة ابن رشيق يفصح لنا عن إمكانية وصف شعر الطفل الموروث بأنه يندرج تحت المرتبة الوسطى من المراتب التى حددها ابن رشيق فاللغة سهلة ميسرة ، والبحور قصيرة ، والاوزان خفيفة، ولا يمكننا القطع بأن المضامين أو الغايات فى شعر الطفل ومقطوعاته القصار تحمل الاغلاط ، لأنها مضامين تربية ووجدانية مقاصدها التعليم والتهديب والتسلية والمتعة الروحية .

كما لا توجد غالبا فى الأشعار القصار الألفاظ الوحشية أو الرموز المستغفلة وإنما ينساب البيان فى عقل الطفل ومخيلته فى سهولة ويسر ، وقديما قال ابو الحسن الرمانى فى معنى البيان: (البيان هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله وإنما قيل

(١) العمدة فى صناعة الشعر ، ونقده ، لابن رشيق ، ص ١٥

* اختلف آراء النقاد القدامى حول تفضيل ايها على الآخر ، انظر مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزقى ، ج ١ ص ٧ - ١٣ لجنة التأليف والنشر ١٩٦٧ م .

ذلك لأنه قد يأتى التعقيد فى الكلام الذى يدل ولا يستحق أسم بيان^(١) .

أما عبارة ابن جنى التى أوردها كتابه الخصائص (قوة اللفظ لقوة المعنى) فتعنى أن المعانى فى الشعر يمكن أن تكون بمثابة وعاء يحمل أفكار الشاعر ومقدرته على التحليق وإعمال الخيال والايحاء والرمز ، إذا فالمقطوعات الشعرية القصيرة المناسبة للأطفال لا تحتل الأحكام التى نطلقها على القصائد المحكمة (شعر الكبار) فى طبقة العالية فى مستواه اللغوى الخاص به .

ويعلق الدكتور شوقى ضيف أهمية كبرى على فن الرجز بأنه أصبح يتناول (كل) ما تتناوله القصيدة من موضوعات ، والتعميم الذى ذكره الدكتور شوقى ضيف (بكل ما تتناوله القصيدة من موضوعات) لا يمكن القطع به ، لان الفروق البنائية والمضمونية بين الأشعار والاراجيز تثبت عكس ذلك إذ المادة اللغوية البنائية للأرجوزة بسيطة وقصيرة فلا تحمل بالتالى كل الأفكار والمضامين التى يقصدها الشعراء . يقول د . شوقى ضيف وتعد الرجز فن الرجز ، حتى اصبح لا يقل عن فن القصيد أهمية ، فالأرجوزة لم تعد ابياتا معبودة تنشد فى الحروب أو فى الحداء أو فى الغناء أثناء العمل بل أصبحت تتناول كل ما تتناوله القصيدة من موضوعات ومالات طولا مسرفا^(٢) . فالأراجيز لا تحمل فى بنيتها مقدمات الشعراء فى مطالع قصائدهم كالتشبيب والنسيب والطلل كما لا تحتل الأراجيز مثلا تنوع الأفكار عند الشاعر فى الانتقال من المقدمة الطلية إلى الفزل ، وما يصاحب ذلك من نوق مميز للقصائد . أما الأشعار القصار فأهم ما يميزها التجزئة . وقد عاد د . شوقى ليؤكد الفكرة الأخيرة فى ذات المؤلف فيذكر وليس من شك فى أنه (الرجز) شعر ، وغاية ما فى الامر أنه كان يقترن بضروب كثيرة من الغناء فى الحماسة والحروب والسقى من الابار، كما يقترن بالحداء فكثرت الحذف وكثرت التجزئة والاضطراب^(٣) .

بقى الإشارة الى ارتباط الشعر العربى (رجزه وقصيدة) بالغنائية Lyricsm قال حسان بن ثابت :

تغن بالشعر أما أنت قائلة إن الغناء لهذا الشعر مضمار

فهو فى جملته شعر غنائى مهما تعددت أشكاله ، وتنوعت أوزانه ، وكثرت أغراضه ، وقد المج ابن خلدون إلى اقتران الشعر بفن الغناء فيذكر: (وكان الغناء فى الصدر الاول من

(١) العمدة ص ١٦٧ .

(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى . د . شوقى ضيف ص ٣٥ .

(٣) السابق ، ص ٥٢ .

أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر اذا الغناء انما هو تلحينه (١) وشعرنا من هذا الجانب شعر غنائى Lyricism الى جانب الموسيقى الداخلية والخارجية به . فالموسيقى تصفى على الشعر الايقاع والانتباه وتزيد من قدرة الألفاظ على التعبير والتأثير . والتقط النوق العربى عنصر الموسيقى فى الشعر وراح يتعهدا بالابداع والدرس والتأليف ، ومن الثابت أن استمتاع الطفل بالكلام الموزون فى شكل منظومات غنائية بمثابة نتاج ادبى مألوف فى التراث العربى ، وقد توفر على تلك المقطوعات الشعرية بالتهذيب والتدوين والانشاء طبقة من المعلمين والمؤدبين والرجاز ، وفى جانب آخر كانت المربيات والجوارى والأمهات والجيدات يلقن الصبية تلك المنظومات الخفيفة بحيث كانت تلائم تلك الاشعار القصار القديمة عقل الطفل وإدراكه مما حقق المنفعة والمتعة ، فاقتران المنظومات الشعرية بالغناء يفسر لنا اتكاء الشعر على الغناء ، والعكس صحيح ، سواء فى الاراجيز أو القصائد يقول د . طه حسين (٢) ولم نشهد فى لغتنا العربية الى الان فيما يظهر غناء اعتمد على النثر دون الشعر وإنماء الغناء العربى كله يعتمد على الشعر مهما يكن نوع النظم الذى يلجأ اليه ... ووزن الشعر العربى ، إنما هو أثر من أثار الموسيقى والغناء ، فالشعر فى أول أمره غناء ، ومن ذكر الغناء قد ذكر اللحن والنغم والتقطيع (٣) فالايقاع الصوتى والنغم الموزون من القسمات الجوهرية فى أصول شعرنا العربى وهذا لا يقلل من قيمة الشعر العربى فهو فى جملته شعر غنائى ، ويتغنى به الرجاز والشعراء فى مقطعاتهم الشعرية أو قصائدهم الطوال ، لأن الأهم فى غنائية الشعر العربى جودته فى التعبير والتأثير فى حياة الجماعة أو الأمة وتقاس جودة الشعر فى أدب أى أمة بأنه أجاد لم يجد فى سياق استقرار خصائص النوع الذى اشتمل عليه .

إن إزدراء أشكال التعبير الشعرى للأطفال غلولا يلائم الباحثين عن العلم وشطط لايدل على اصابة كبد الحقيقة فالثابت على سبيل الاستشهاد - أن القصائد الطوال المعروفة بالمعلقات" بمضمونها وبنيتها لا توافق ذهنية الطفل وإدراكه ، وهى من روائع فن

(١) مقدمة ابن خلدون ، لابن خلدون ، ص ٥٢٢ ، دار الشعب د . ت .
(٢) فى الادب الجاهلى ، د . طه حسين ، ص ٣٢٤ . دار المعارف ط ١٩٨٤ .

الشعر العربى القديم ، لأسباب تتصل باشكالية النمو اللغوى والمعرفى عند الطفل وهذا يدلنا على أن الاشعار القصار القديمة ذات البخور الخفيفة بمضونتها وبنيتها اللغوية السهلة ، وإيقاعها الموسيقى المنغم أقرب الى نطق الطفل وفهمه من القصائد الطوال الجاهليات التى أشرنا إليها .

إن الفروق بين عقلية الكبار والصغار ودرجة الإدراك عندهما ، هما الرائد أمامنا فى الأحكام التى نطلقها عليها عندما نريد التمييز بين فن الشعر : (شعر للكبار أم فى شعر للأطفال). وبعد: فإن أمازيج الطفل وترقيصه بالأبيات الشعرية المجزوة فى مقطوعات شعرية قصيرة ، سهلة لها أهميتها وتأثيرها فى استثارة الميول الوجدانية عنده ، بسحر الإيقاع والغناء بالكلام الموزون* .

أغاني الترقيص إذاً أو الترانيم الغنائية للطفل لها جذورها فى الأدب العربى الرسمى: كما وجدت الأشكال الشعبية من أغاني الاطفال المصاحبة لالعبهم فى الادب الشعبى غير ان تلك الأغاني الشعرية خضعت لتغييرات بنائية على وجه الخصوص فى أدبنا الشعبى الموروث لأن سمة التغيير بالحذف والتعديل أو الاضافة فى أسلوب ومادة الأدب الشعبى من أبرز خصائصه الدالة عليه .

وهذه الترنيومات الغنائية (أو الأمهودات الشعرية) تجدها فى أمهات كتب اللغة والأدب عند العرب (فترقيص الصبيان بالغناء والكلام الموزون من طبائع الانسان أنى وجد ، وكان من الخصال الحميدة التى يتوخونها (العرب) لتربية الطفل وتهذيبه ، ترقيص الطفل بالمقاطع الشعرية)^(١) وأغاني ترقيص الطفل تعد فى ضوء ذلك من الاشعار القصار أو الاشعار المقطعية ، لأن الغناء للطفل يجرى دائماً بالكلام الموزون المقفى ، فان طبيعة التلقى

* يميل المؤلف الى الرأى القائل .(نحن نسلم بالتقسيم الذى اتخذه بعض الفلاسفة بين الاغاني ، ونميز كما بين الغناء الادبى ، والغناء الحماسى ، والغناء الشهوى ...) .

انظر السياسة لأرسطو ترجمة احمد لطفى السيد ، ص ٢٠٥ ، ط القاهرة ١٩٤٧ م .
(١) الغناء للاطفال عند العرب ، د . احمد عيسى بك، المقدمة ، ط بولاق ١٩٣٦ م .

عند الصغير تحتاج الى وزن عروض من نوع مميز له ، وقافية سهلة أهم ما يميزها موسيقية الإيقاع النغمى والصوتى . ولذلك تلائم البحور المجزوءة هذا اللون من الشعر الغنائى المقطعى ، فهو إذا على قصر بحوره وقصر مقطعاته الشعرية من الوحدات الموزونة المقفاه وهذه الوحدات أهم ما يميزها أستخدامها بحر الرجز فى قافية مزدوجة .

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأن كتب اللغة والأدب والأخبار والسيرة غاصة بالاشعار القصار ، أو الترنيكات الشعرية القصيرة ، المقرونة بالغناء والإيقاع والكلام الموزون .

والصفحات التالية من هذا المبحث تعرض لم (انتخاباه) من تلك المقطعات الشعرية ذات العلاقة بالطفل من فترة المهد الى أن يبلغ الحلم فالنشى الصغير بحاجة الى التطريب والتهديب وإستشارة وجدانه وفى ذلك يقول الشاعر (١)

ياسائلى عن أدب الخبرة أحسن فيه أدب العشرة

وقال أهل الطب : أن الصوت الحسن يجرى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفوا له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص () والطفل ميال بطبيعته الى الاستجابة للتغنى على أصوات الكلام المنغوم ، ويميل كذلك ويضطرب لسحر الإيقاع الموزون ، خاصة مما يصدر عن أمه فى فترة مهددة من كلمات الهددة (تهنين الطفل بالكلام الموزون فى إيقاع منغوم) .

ونحن نعرف الأسلوب الذى تستخدمه الأم مع صغيرها وهى تربت على صدره بيد حانية وكلمات رقيقة فهى تستخدم اذا الحركة الموقعة المرتبة المرة تلو المرة ، مع الكلمة

(١) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، للبطلينوس ، تحقيق مصطفى السقا د . حامد عبد المجيد ج ١ ط الهيئة المصرية العامة لكتاب ، ١٩٨١ م .

المصاحبة للحركة فى اسلوب شعرى بسيط ومنغوم وهى فيما اعتقد أول علاقة للطفل مع الشعر الذى ينمو ويتطور مع الطفل بتطور مراحل نموه ، ثم تتولد من بعد أغانى الترقيص القصيرة والتى يعقبها النشيد والمقطوعة الشعرية ، فالأم بفطرتها هى المنبع الأول لأغانى الطفل فى فترة المهد فى حاضنته ومرييته والمؤدبة له .

مختارات من أغانى ترقيص الطفل فى التراث :

كانت الشيماء أخت رسوا الله (ﷺ) من الرضاعة ترقصه فيمهدده وتقول^(١)

هذا أخ لى لم تلده أُمى
وليس من نسل أبى وعمى
فأنمه الله فيما تنمى

وقال الحسن البصرى يرقص ابنه: (٢)

يا حبذا أرواحه ونفسه
وحبذا نسمة ولمسه
والله يبقيه لنا ويحرسه
حتى يجر ثوبه ويلبسه

وضم العباس بن عبد المطلب ابنه الى صدره يوم فتح وأنشده: (٣)

يا قثم يا قثم يا قثم
يا شبه ذى الكرم

دخل رسول الله (ﷺ) على عمه الزبير بن عبد المطلب هو صبى فأقعدده فى حجرة

وقال: (٤)

محمد بن عبيد عشت بعيش أنعم ودولة ومنم
فى فرع عز أسنم مكرم معظم

(١) المستطرف فى كل فن مستطرف ، للأشبهى ، ج ١ ، ص ١٤ .

(٢) الغناء للأطفال عند العرب ، د . أحمد عيسى بك ، ص ١ .

(٣) السابق ، ص ٨٩ .

(٤) طبقات ابن سعد ، ج ٤ ص ١٠ .

ومنه ترقيص العباس وهو يومئذ صبي ، أنشد الزبير بن عبد المطلب يقول لأخيه
العباس : (١)

إن أخى عباس عف نوكرم فيه عن العوراء ان قيلت صمم
يرتاح للمجد ويوفى بالذمم وينحر الكوماء فى اليوم الشيم

أكرم بأعراقك من خال وعم

وعندما دخل ضرار بن عبد المطلب على أخيه الزبير وكان أصغر من العباس بن عبد
المطلب قال يرقصه شعرا : (٢)

صنى بمياس ضرار خير ظن أن يشتري الحمد ويغلى بالثمن
ينحر للأضياف ربات السمن ويضرب الكباش الباس ارحجن

ومما يروى عن الزبير بن عبد المطلب ترقيصه (المغيث) أحد أبناء جاريته ، فأنشده
مؤدبا (٣)

وإن ظننى بمغيث أن كبر إن يسرق الحج إذا الحج كثر
ويوقر الاعيار من قرف الشجر ويأمر العبد بليل يعتذر

واشتهر الزبير بترقيص أولاده وأخوته وأبناء أخوته على نحو ما ذكرنا وقد دخلت عليه
أبنته أم الحكم وهى يومئذ صغيرة فقال : (٤)

يا حبذا أم الحكم كأتسها رميم أجم
يابعلها ماذا يشم ساهم فيها فسهم

وكان عبد المطلب بن هاشم يرقص بابنه الزبير فيقول :

يا بأبى يا بأبى يابأبى* كآته فى العز قيس بن عدى

فى دار قيس ينتدى أهل الندى

(١) الغناء للإطفال عند العرب ، د ، احمد عيسى بك ، ص ٢ - ٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٣) السابق ، ص ٢٥

(٤) الامالى ، لأبى على القالى ، ج ٢ ، ص ١١ .

(*) القهرست ، لابن النديم ، ص ١١٢ (البيا) ، ممدود ترقيص المرأة ولدها تناغيه بهذا الكلام ، بأبى الصبى ابيه اذا قال له
يايا).

ومنه أن أم عمر بن شبة كانت ترقص ولدها وتقول: (١)

بابا وشب وعاش حتى دب شيخا كبيرا أحنى
وقريب منه مدح الحسن البصرى لابنه والدعاء له بأغاني الترقيص قول اعرابي يرقص
ابنه: (٢)

يا حبذا روحه وملمسه أملح شئ ظلا وأكيسه

الله يرعاه لى ويحرسه

وقال رجل يرقص ابنه :

والله ما أشبهنى عصام لاخلق منه ولا قوام

ومنه قول اعراب يرقص ابنته فى مغزى حب أسرى صاف: (٣)

بنيتى ريحانة أشمها قديت بنتى وفدتنى أمها

وفى محاضرات الأدباء للراغب هذه الترنيمة التى تروى على لسان اعرابية ترقص ابنة
لها فتقول: (٤)

وما على أن تكون جاريه	تكنس بيتى وترد العاريه
تمشط رأسى وتكون الغاليه	وترفع الساقط من خماريه
حتى اذا ما بلغت ثمانيه	رديتها ببردة يمانيه
زوجتها مروان أو معاوية	أمهار صدق ومهور غاليه

ووردت اغنية الترقيص السابقة برواية مختلفة وناقصة فى كتاب المستطرف: تزوج
أعرابي بامرأتين فولدت أحدهما جارية والآخرى غلاما فرقصته امه وقالت معايرة
لضرتها:

(١) الفهرست ، لابن النديم ، ص ١١٢ .

(٢) محاضرات الادباء ، للراغب الاصفهاني ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(٣) السابق ، ص ١٥٧ .

(٤) السابق ، نفسه .

الحمد لله الحميد العالى أنقذنى فى العام من الجوالى
من كل شرها كشن بالى لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضررتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول :

وما على أن تكون جاريه تغسل رأسى وتكون الغاليه
وترفع الساقط من خماريه حتى اذا ما بلغت ثمانيه
أرنتها بنقبة يمانيه انكحتها مروان أو معاويه

أصار صدق غاليه^(١)

وشهدت البيئة العربية فى العصر الجاهلى فى ظل الحضارة الإسلامية رواجاً كبيراً
لأغاني ترقيص الطفل أو أغاني المهد ، وكانت هذه الأمهات الشعرية صورة دقيقة للحياة
الاجتماعية والنفسية ، وما يروى فى ذلك أن امرأة كانت أبنتها وتناغيها وهى تومئ
بالحديث إلى زوجها ، وكان يدعى أبا حمزه الضبى وقد هجرها لأنها لاتلد الذكور ،
وتصادف أن مر بخباء امرأته يوماً فوجدها ترقص ابنته بكلمات منغومة ، فيها عتاب رقيق
لزوجها وهددة لطيفة لابنتها وعندما سمعها تقول :

ونحن كالارض لزاعينا نبيت ما قد زرعوه فينا

دخل البيت الذى كان قد هجره واعتذر لزوجه وقبل ابنته وهو يستعيد من زوجته قولها:

مالابى حمزة لا يأتينا يظل البيت الذى لنا
غضبان ألا نلد البنينا تالله... ماذلك فى أيدينا
وأنا نأخذ ما أعطينا ونحن كالارض لزاعينا

نبيت ما قد زرعوه فينا*

(١) المستطرف من كل فن مستطرف ، للإشبيلى ، ج ٢ ، ص ١٠ - ١١ .
* تتلق أمهدة الترقيص التى تغنت بها المرأة العربية مع النتائج الطبية العملية المعاصرة التى تؤكد مسئولية الرجل فى تحديد
النوع الانسانى .

فهذا الشعر يدل على أن هذه الاعرابية قد رزقت بنتا فغضب عليها زوجها وهجرها الى بيت قريب منها ، ويدل على ضرب من المعاملات ، وعلى أحوال الاجتماع وعلى ما للمرأة من رقة الاخلاق ولين الجانب قالوا ولما سمع زوجها هذا النشيد هم بتقييلها هي وابنتها ، فكان ذلك سبباً لرجوعه الى زوجته^(١) ومنه ما يرويه أبو الفرج فى الاغانى : (تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك فطلقها تطليقة ثم ندم ، وعاتبه قومه فراجعها ، فبينما هو فى بيته يوما اذا سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها ، فحركة ذلك ورق لها ، فقام اليها فاخذها وجعل ينزئها ، ثم انشد يرقصها بالغناء :

يا بنت من لم يك يهوى بنتا
ما كنت الاخمسة أو ستا
حتى حللت فى الحشى وحتى
فتت قلبى من نجوى فانفتا
لانت خير من غلام انتأ
يصبح مخموراً ويمسى سبتا^(٢)

والملاحظ فى هذه المقطوعة فطنة الراجز لأهمية عنصر اللاح فى الحنو بتكرار الالفاظ فى ايقاع جميل مما يلذ له الطفل امهودة طريفة اشترك فيها الاب والام فى تناوب منهما هاهى لترقيص اينهما ، قال قيس بن عاصم الصحابى يرقص ولده (حكما):

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكونن كلهوف وكل
يصبح فى مضجعه قد انجدل وأرق إلى الخيرات زنا فى الجبل

فردت ام الصبى على ابيه ترقص ولدها :

أشبه أخى أو أشبهن أباكا
أما أبى فلن تنال ذاكا
تقصر أن تتناله يداكا^(٣)

(١) البيان والتبيين ، الجاحظ ، ج ١ ص ١٠٤ .

(٢) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د . احمد خفيف ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) الاغانى ، للاصفهاني ، ج ١٠ ص ٤٠٨ ط الهيئة المصرية للكتاب .

يقول قيس ابن عاصم لابنه حكيم في الامهودة السابقة: "أشبه أبا أمك أو أشبه خالك"
عمل" فترد عليه زوجا منقوسة بنت زيد الفوارس وهي ترقصه وتقول له : أشبه أخى أو
أباك أما أبى قلن تشبه بحال .

وكان الزبير بن العوام يرقص ولده ويقول: (١)

أزهر من آل أبى عتيق
مبارك من ولد الصديق
الذه كما الذ ريقى

ومما يروى أن أعرابية كانت ترقص ولدها وتقول: (٢)

يا حبذا ربح الولد ربح الخدامى فى البلد
أهكذا أقل ولد أم لم مثلى أحد

والولد هو الثروة فى جانبها البشرى ، يقول أحد الإعراب فى فخر بولده وهو يرقصه
بالغناء :

أحبه حب الشحيح ماله
قد ذاق طعم الفقر ثم ناله
إذا أراد بذله بدا له (٣)

مات أحد قطاع الطريق ، وترك بنيا رضيعا فجعلت أمه ترقصه وتقول :

ياليت ما قطع الطريق ولم يرد فى أمره رفيقا
وقد أخاف الفج والمضيق فقل أن كان به شفيقا

(١) الغناء للأطفال عند العرب ، د . أحمد عيسى بك ، ص ٥٥ - ٧٧ .

(٢) العقد الفرید لابن عبد ديه ، ج ١ : ص ٧٨ ، والمستطرف فى كل فن مستطرف ، بنفس الرواية بينما ورد هذا الترقيص فى
كتاب الغناء للأطفال عند العرب للدكتور أحمد عيسى بتغيير طفيف (ابيض من آل بدلا من أزهر من آل) .

(٣) الغناء للأطفال عند العرب د . أحمد عيسى بك .

وقال اعرابي يرقص ولده: (١)

أعرف منه قلة النعاس وخفة من رأسه لرأسي

وكانت السيدة فاطمة بيت رسول الله (ﷺ) ترقص ابنها الحسين بن علي وتقول:

ان بنى شبه النبي ليس شبيها بعلي (*)

ومن أقصر أغاني الطفل ترقيص رسول الله (ﷺ) للحسن والحسين وفي الحديث أن النبي (ﷺ) كان يرقص الحسن والحسين ويقول :

حزقة حزقة ترق عين بقة **

رجل حذق وحزق : قصير يقارب الخطو وحزقة مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوق تقديره أنت حزقة وحزقة الثاني كذلك أو خبر مكرر ومن لا ينون حزقة الأول أراد حذف بالتداء ، ترق بمعنى أصعد أو أعل عين بقة : ياعين البقة كناية عن الصغر لأن عين البقة صغيرة جدا ، فكان الحسين يرقى حتى يضع قدميه على صدر النبي (ﷺ) . قال ابن الأثير : ذكرها على سبيل المداعبة والتأنيس له (٢) .

ومنه هذه الأغنية الطريقة المقرونة باللعب وهي تدلنا على مدى معرفة الأوائل باللعب ، بل وأهمية اللعب في حياة الطفل تقول الامهودة على لسان أم مسعود بن عمرو وهي ترقص ولدها بهذه الابيات :

لا منحني بيه جارية في قبه تمشط رأس لعبه (٣)

فالمرأة العربية تعد وليدها الغض السمين (بيه) الممتلئ نعمة بفتاة (عروس تنتظره) في خباء صغير ، وتلهو معه بتمشيط اللعبة والتمثال ومنه ما ورد في اللسان لابن منظور:

قالت هند بنت أبي سليمان ترقص ابنها عبد الله بن الحارث:

لأمنحن بيه جارية خديه مكرمة محسبة تحب أهل الكعبة

وقالت امرأة من قريش ترقص ولدها :

أحبك والرحمن حب قريش عثمان إذا دعا بالميزان

(*) السابق ، نفسه ويلاحظ أن "بنى" و"على" بالتخفيف لضرب وزن الشعر.

انظر : كتاب الغناء للأطفال عند العرب .

** وماذا يلق وحزق من لسان العرب لابن منظور .

(٣) الغناء للأطفال عند د . العرب د . أحمد عيسى بك ص ٨٢ .

ومما يروى نقلاً عن كتاب أنباء نجباء الأبناء :

مر عبد المطلب بن هاشم ذات يوم على ولده العباس وهو يومئذ صغير يلعب مع اتراب له، فسمع احدهم يتحدث بكلام قبيح ، وابنه العباس يقول له "ويت لالعبت معنا ، إنك بذاء الشعر قؤول بالخناء . فأكب عليه عبد المطلب فاحتمله وجعل يرتجز ويقول:

لم ينمى عمرو ولاقص

ان لم يسود فتى لؤى

واغنية الترقيص السابقة تعكس الرؤية الاخلاقية فى التربية الاسلامية من جانب ، وتقدم لنا صورة اجتماعية الصغار حل اللعب من جانب آخر . وعندما ينمو الطفل تنمو معه أغاني الترقيص ، فى مادتها (لغة واسلوبا) وفى تغذية عقل الطفل ووجدانه بأفكار جديدة ، محورها تهينة الصبى لمستقبل ينتظره فيصير رجلا قويا يدافع عن عشيرته وقبيلته ، دمادة الترقيص بالكلام الموزون تميل الى حمل مضامين الفخر فى أغلب نماذجها ، على عكس مضمون أغاني المهد التى عرضناها والمثلة لأغاني فترة المهد حيث تجنح الى تسلية الصغير وتطزييه واظهار عاطفة الحب الابوى نحوه أو وصف محاسنه الخلقية ومنه أن أم الأحنف بن قيس كانت ترقص ولدا الضحاك وتقول: (١)

والله لو حنف فى رجله ودقة فى ساقه من هزله

وقلة اخفاها من نسله ما كان فى الحى غلام مثله

ومنه ايضا ما قاله اعرابى يرقص وحيدته :

كريمة يحبها أبوها مليحة العينين عذبا فوها

لا تحسن السب وان سبوها (٢)

(١) محاضرات الانباء للزاغب الاصفهاني ، ج ١ ص ١٥٦ .

(٢) المعارف لابی قتبية ص ، ص ٦٣ .

صورة مجملّة

حاولنا تقديم صورة تراثية مجملّة للشعر العربي حول الطفولة واستتبع ذلك تقديم عدة شواهد شعرية متنوعة لأدبيات شعر الطفل ، أنشدتها الرجاز والشعراء والاعراب ، والاباء ، والامهات حول الاطفال فى أغراض مختلفة ، أو ما صدر عن الشعراء (فى طفولتهم) من شعر يترجم لمرحلة الصبا التى انشأوا خلالها أبياتهم ومقطعاتهم الشعرية ، ثم عرضنا لجانب هام من جوانب شعر الطفولة المتمثل فى أغاني ترقيص الطفل بالغناء الادبى فى منظومات قصيرة طوع لها بحر الرجز ومجزوء البحور الشعرية الاخرى وقد حرص منشئو هذه الاغاني الادبية للاطفال على أهمية أشباع تلك الاغاني لعنصرى الانسجام والايقاع ، لما يحققانه من متعة وفائدة فى تطريب الطفل وهددته بالغناء بكلام موزون له سحره وتأثيره عند الطفل كميل طبيعى وغريزى عنده ، وكان من الضرورى ونحن نستقرى صورة الطفل فى التراث الشعرى أن نسير أغوار نشأة الشعر بعامة والاشعار القصار بخاصة نظرا لعلاقة البحور القصيرة والمقطعات الشعرية بالطفل وأغانيه وناشيدته ولعل ما يثبت صحة ما رصدناه ما أنشده ابو جعفر أحمد اللمائى الكاتب .. فى الغناء والايقاع قوله :

غننى ولايقاع فوق بيان منطق بيان

وكانما يده فم وقضيبيه فيها لسان (١)

وقد أشرنا فى عجالة الى وجود الاغاني الشعبية وبابات خيال الظل فى تراثنا الشعبى وهى على اهميتها البالغة بالنسبة للطفل تحتاج الى بحوث مستقلة لدراسى الادب الشعبى، وليس مجالها هنا ، لذلك جاء رصدنا لمختارات الشعر العربى ومناسبتها كذلك ازجال بابات خيال الظل بمثابة مادة خصبة للجمع والدرس الجامعى للباحثين فى الادب الشعبى، والنص الادبى المدون فى الادب الرسمى لا يخضع للتغيير كما يحدث فى الادب الشعبى ، ومنه ذلکم النص الذى يردده الاطفال بروايتين مختلفتين :

أولاهما : "حادى بادى .. سيدى محمد البغدادى .. ليلة الجمعة اوقد لك شمعة".

والثانية : "حادى بادى .. اعطينى مرادى .. ليلة الجمعة اشعلك شمعة" (٢) .

(١) اللخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، لآين يسام ، مج ٢ ج ١ ، ص ٢٢ .

(٢) مجلة التراث الشعبى ، ص ٨١ .. العدد ١٥ ، بغداد ١٩٨٧ .

فالنص على ما به من جنور تراثية "الحادي من اغاني الحداء" و"البادي من البدء والاستهلال" . فان النصوص الشعرية في الأدب الشعبي تخضع في معظمها للتعديل تبعا للاستعمال جيلا بعد جيل . لذلك عرضنا الشعر الغنائي حول الطفل في الادب الرسمي على نحو ما قدمنا من ترانيم، تجمع بين التطريب والتهذيب ،وأشرنا الى صورة الطفل في الادب الوصفي من خلال القصائد المقطعية أو المقطعات الشعرية .

ولكن الشيء الهام فيما يتصل برؤية العقل العربي الاسلامي تجاه تأديب النشئ وتعليمه، ويمدى انعكاس تلك الرؤية على ادب الطفل، هو أن تطرح بشكل مؤقت عدم وقوف القدامى عند ادب الطفل بمعناه المستحدث كنوع ومصطلح "أدبيين" برغم وجود النتاج النثري والشعري الخاص بأدبيات الطفل في بطون كتب اللغة والأدب والأخبار على نحو ما عرضنا من فنونه النثرية والشعرية نقلاً عن أمهات كتب وإذا دلت هذه الفنون ذات العلاقة بالطفل على شيء فإنما تدلنا على اصالة هذا اللون الأدبي ، بالتالي فإن الآراء أو الاحكام التي تصدر حول هذا اللون الأدبي ، يجب أن يضعها أصحابها في مكانها الصحيح ، فلا غرو إذا قلنا أن علماء اللغة والبلاغة والنقد في الحضارة الاسلامية لم يفتنوا الى تحديد مصطلح ما تسم به أدبيات الطفل أو أدب الطفل ، برغم وجود مادته في أدبنا الرسمي ، لذلك يعجب المؤلف من الرأي القائل بأن هذه الموروثات ليست في عداد أدب الأطفال ، يقول د. هادي نعمان الهيتي :

"ونجد في التراث الشعري العربي فيضا من المقاطع التي كانت تعنى للأطفال عند تلعيهم أو تنويمهم ومن بين هذا التراث ما هو أغاني مهد ترنمها الأمهات لأطفالهن عند تنويمهم ، وأغاني ملاعبة يرنهما الكبار للأطفال أثناء اللعب وقد أطلق مصطلح أغاني وترقيص الأطفال على هذا الموروث الشعري . . وهذه الموروثات ليست في عداد أدب الأطفال"^(١) بالرغم من أن صاحب الرأي له اهتماماته بأدب الطفل وأصدر كتابا عنوانه : "أدب الأطفال ، فلسفته ، فنونه وسائطه" وأتبعه برصيفه "ثقافة الأطفال" فانه كمتخصص أكاديمي في الاعلام والاتصال الجماهيري وقع في تناقض واضح في مقولته

(١) ثقافة الأطفال ، د. هادي نعمان الهيتي ، ص ٢٠٦ ، عالم المعرفة ، الكويت ، مارس ١٩٨٨ أنظر كتابه : "أدب الأطفال ، فلسفته ، فنونه ، وسائطه" طبع هيئة الكتاب (طبعة مشتركة مع دار الشئون الثقافية ببغداد ، ١٩٨٦

الأنفة) أليست الأغنية الأدبية أو الترنيمة الغنائية بالكلام الموزون المقفى من المنظوم من الشعر ؟! (.. بلى ولكنه لا يعدها من أدب الطفل) أو شعر الطفل ، ثم الأغاني أو الترنييمات فى مرحلتى المهد أو الصبا ليست حكرا على الأمهات فحسب ، وإنما ردها الرجز والشعراء والأباء والأجداد وغيرهم للأطفال ، على نحو ما قدمنا من مختارات فى هذا الفصل ، ولصاحب الرأى أن يعود الى الجملة الاستهلالية التى بدأ بها مقولته : ونجد فى التراث الشعرى فيضا من المقاطع .. ليضع رأيه فى مكانه ، وحسبه جهوده للمشاركة فى التنظير لأدب الطفل أن التفت لقضايا الطفل وثقافته فى الأدب الحديث وليس معنى ذلك كله أن نهدم مفهوم القول الشعرى فى أدبنا العربى الذى يدور فى أساسه حول المنظوم : وليس من شك أننا قد نختلف فى القيمة الأدبية والفنية لهذا المنظوم من الشعر ، ولكن أشتجار الرأى لا يمكن أن يهدم الأساس الفنى للمنظوم من الشعر ، لأنه لو كانت أغاني أو ترنييمات الطفل فى التراث الأدبى لا تحمل فى بنيتها أوزان الشعر أو قوافيه لأصبحت مقولة د . هادى نعمان الهيئى مقولة سديدة ، ولكننا عندما نستقرئ ما وصل من أغاني المهد أو أغاني الترقيص بالترنييمات الشعرية الغنائية ستجدها قد نظمت بالكلام الموزون المقفى ، والمرجح فى ضوء مناقشة رأى الباحث العراقى أنه إلا أن بالرأى على مصداقية رؤيته فى أن أدب الطفل جنس أدبى من الاجناس الأدبية المستحدثة ؛ ولقد حاولت أبواب الكتاب أن تثبت العكس .. . وبعد ..

خاتمة مجملية :

هناك اتجاهان جديران بالوقوف عندهما ، سبر بهما العقل العربى المسلم أدبيات الطفل فى أساليب تنشئته :

أولاهما : (الاتجاه الدينى الأدبى) :

وأمتدى رجاله بأقوال الرسول (ﷺ) وأصحابه ، والخلفاء والأمراء وعلماء الحديث واللغة الأدب . وتتخلص رؤية أصحاب هذا الاتجاه ببدء إكساب الطفل منهج دينى (تحفيظ القرآن وبخاصة السور القصار منه ، ثم يحصل الطفل على المنهج الأدبى واللغوى (اللغة

والاشعار) . وقد كشفت أبواب الكتاب غير مرة عن أهمية بدء تعليم الطفل وتأديبه بحفظ القرآن ومبادئ علومه ثم ماحسن من الشعر ، نظرا لما فى القرآن الكريم من أثر حاسم فى تقويم اللسان وتنمية ملكة البيان واستثارة الوجدان وحفز خيال النشئ لاكتساب المحصول اللغوى . يقول ابن سينا(.. فإن اشتدت مفاصل الصبى واستوى لسانه وتهيا للتلقيين ووعى سمعه : أخذ يتعلم القرآن ، وصورت له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين .. كما ينبغي أن يروى للصبى الرجز ثم القصد ، فإن روايته أسهل وحفظه أمكن ، لأن بيوته أقصر ووزنه أخف) . ومنه قول ابن يسام : ... وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبى السور من القرآن بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل . ويدرجه بعد ذلك لمعرفة عقائد السنن ، ثم أصول الحساب ، وما يستحسن فى المراسلات والاشعار ، دون سخيها ومستزذلها. (١)

وأمتدت آثار هذا الاتجاه الدينى الى العصور الحاضرة فى الاقطار العربية والاسلامية . مع اختلاف فى "الكم" أو الاسلوب عرض "المنهج" المعمول به كل قطر من تلك الأقطار

والثانى الاتجاه (الأدبى الدينى) :

هو اتجاه متجدد فى الحضارة الاسلامية ولا يتعارض مع الاتجاه الأول فى غاياته جميعا - وإن اختلف فى أساليب تحقيق تلك الغايات . ويأخذ أصحاب هذا الاتجاه بالمنهج التعليمى للطفل (المنهج التربوى) حتى يتعلم ويدرك بعد ذلك فهم ما يقرأ من القرآن ، يبدأ أنصار الانجاه الأدبى الدينى منهجهم بتعليم الطفل مبادئ اللغة وقواعدها والتدريب على الترسل ، وتلقين الطفل الشعر وروايته وإنشاده ثم ينتقل الطفل إلى القرآن وعلومه فإنه يتيسر عليه بعد جرعة التعليم أو التلقين اللغوية والأدبية أن يفهم أو يحفظ آيات أو بعض السور القصار من القرآن الكريم ، ومن ثم يستطيع أن يدرك مبادئ عقائد السنن والأخبار ، وقد شاع هذا الاتجاه (الأدبى الدينى) إلى العصور الحاضرة ، ولكن بدرجة أقل من تأثير الانجاه (الدينى الأدبى) نظراً لتقلص دور الطبقة الهامة من المؤدبين والمعلمين والمحفظين للقرآن من ناحية المنهج التروى المتكامل عند سائر الأمصار العربية والاسلامية.

(١) نهاية الرتبة لابن يسام . تحقيق وتعليق حسام الدين السامرائى ص ١١٧ ، نشر مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٨٧ م .

بقيت ملاحظة هامة نختم بها الكتاب مؤداها أن الشعر التعليمي الموروث كان يتوجه فيما يتوجه من مقاصد إلى تحقيق الأهداف الوظيفية للأدب فالشعر التعليمي في منظوماته لا ينشد الجمال الفني في الشعر في قيمته الأدبية الفنية الراقية أو طبقته العالية ، وإنما يهدف إلى أن يكتشف الطفل القيم التربوية والأخلاقية والوجدانية ، لذلك حرص منشئو هذا الفن التعليمي على ضرورة الابتعاد عن الخيال التركيبي والابهام أو الغموض المستغرق على ادراك الطفل ، ولا يضير الشعر التعليمي انه يقوم على النظم المحمل بالقيم والوصايا والمعارف أو التسلية على السنة الحيوان والطير وغيرها من المخلوقات . اننا نزعم بعد ذلك أن الشعر التعليمي له قيمته في سياق مرحلة الطفولة Childhood التي يتوجه اليها ، فهو نظم لا ينشد الكمال الشعري أو الجمال الفني في قيمته الأدبية بقدر تحقيق المنفعة اللغوية والتعليمية ، وانما لكونه حقيقة واقعة تدرس وتقرأ كما قال د . طه حسين وهو يعرف هذا الشعر فيقول: (. هو حقيقة واقعة تدرس وتستقرأ ، لامن حيث هو مثل أعلى يسمو اليه الشاعر والناقد ، وذلك لأن تاريخ الآداب مضطر إلى أن يتناول بحثه الشعراء مهما يختلف حظهم من الاجادة ،ومهما تفاوتت طبقاتهم فهو يعرض للشعراء النابغين ، كما يقف عند الشعراء الخاملين ، وكما يعنى بأواسط الشعراء)^(١)

إن المدخل إلى أصول أدبيات الطفل في التراث العربي الإسلامي ، تطلب الرصد اللغوي ، والأدبي للمفاهيم التي عرضنا لها بين ثنايا ما قدمناه انفا ، فقد عبر إلى أهمية مناقشة الفروق بين المفاهيم "التربوية" والأدبية لذلك الأدب بهدف الوصول الى مفهوم أدب الطفولة "Childrens .literatature" وفي تعرض نماذج من الأنواع الادبية للصغار في مجال النثر والشعر، ومن ثم نستطيع أن نزعم أمينين بأن أدب الطفولة له جذوره التراثية في أدبنا ، برغم عدم التفتات علماءنا ونقادنا إلى هذا الجنس الأدبي ، وبخاصة عند محور المفهوم الاصطلاحي * له .

(١) في الأدب الجاهلي . د . طه حسين ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ، ط ، دار المعارف ١٩٨٤ م -
* يبحث علم المصطلح في طبيعة المفاهيم ، وتكوينها وخصائصها والعلاقات فيما بينها ، وتعريفات المفهوم ، وكيفية تخصيص المصطلح للمفهوم ، والمصطلحية علم يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها . انظر مقدمة في علم المصطلح ، د . علي القاسمي ، ص ١٧ ، ٢٠ بغداد ، ١٩٨٥ م .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- السيرة النبوية لابن هشام .
- الصحيحان (البخارى ومسلم) .
- (أ) هن كتب المعاجم والقواميس

- (١) لسان العرب
- (٢) مختار الصحاح .
- (٣) المصباح المنير.
- (٤) المعجم الوجيز .
- (٥) معجم مصطلحات الأدب (د . مجدى وهب)
- (٦) قاموس علم الاجتماع (د . عاطف غيث بالاشتراك)
- (ب) هن كتب التراث .

- (١) البيان والتبيين للجاحظ.
- (٢) ثمار القلوب للثعالبي .
- (٣) خزانة الأدب لابن حجة الحموى .
- (٤) الحماسة لأبى تمام ، بشرح التبريزى
- (٥) المفضليات للمفضل للأصمعى .
- (٦) الأصمعيات للأصمعى
- (٧) الأغاني للأصفهاني
- (٨) محاضرات الأباء للأصفهاني .
- (٩) الشعر والشعراء لابن قتيبة .
- (١٠) المعارف لابن قتيبة .
- (١١) الأمالي لأبى على القالى
- (١٢) العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق

- (١٣) مجمع الأمثال للميداني
- (١٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني
- (١٥) نهاية الأدب للنويري .
- (١٦) الكشف للزمخشري .
- (١٧) مجالس ثعلب لابي العباس بن يحيى .
- (١٨) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي .
- (١٩) محاضرة الأخبار ومسايرة الأبرار لابن عزمي .
- (٢٠) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام .
- (٢١) نهاية الرتبة لابن بسام .
- (٢٢) كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي .
- (٢٣) العقد الفريد لابن عبد ربه .
- (٢٤) كيلة ودمنة لابن المقفع .
- (٢٥) مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن-خلدون
- (٢٦) أحياء علوم الدين ، للغزالي .
- (٢٧) أيها الولد المحب ، للغزالي .
- (٢٨) أنباء نجباء الأبناء ، لمحمد بن ظفر الصقلي .
- (ج) هن المراجع الحديثة والمعاصرة**

- (١) السياسة لأرسطو ، تعليق الأب يونس معروف اليسوعي .
- (٢) تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين ، تحقيق محمد إبراهيم سليم .
- (٣) التربية والتعليم في مصر القديمة ، د محمود ذهني .
- (٤) تنويع الأدب ، طرقه ووسائله ، د . محمود ذهني .
- (٥) ألف ليلة وليلة ، د . سهير القلماوي .
- (٦) أيام العرب في الجاهلية ، محمد أحمد جاد المولى (بالاشتراك) .
- (٧) في الرواية العربية ، فاروق خورشيد .
- (٨) الحكاية الخرافية . ترجمة د . نبيلة إبراهيم .
- (٩) أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، د . نبيلة إبراهيم .

- (١٠) منهج الفن الاسلامي ، محمد قطب .
 - (١١) مدخل إلى الأدب الاسلامي ، د . نجيب الكيلاني
 - (١٢) في أدب الاطفال ، د . علي الحيدى .
 - (١٣) فجر الرسالام ، أحمد أمين . -
 - (١٤) ضحى الإسلامى ، أحمد أمين .
 - (١٥) أصول التربية الاسلامية ، عبد الرحمن النحلاوى .
 - (١٦) الوسيط فى الأدب العربى ، أحمد الاسكندرى (بالاشتراك) .
 - (١٧) المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق د . شوقي ضيف .
 - (١٨) مصادر الشعر الجاهلى ، د . ناهر الأسد .
 - (١٩) فى الادب الجاهلى د . طه حسين .
 - (٢٠) حديث الأربعاء (ج٢) ، د . طه حسين .
 - (٢١) مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، د . أحمد ضيف .
 - (٢٢) الغناء للأطفال عند العرب ، د . أحمد عيسى بك .
 - (٢٣) ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفى .
 - (٢٤) ديوان ابن الرومى ، تحقيق د . احسان .
 - (٢٥) ديوان الصنوبرى ، تحقيق د . احسان عباس .
 - (٢٦) مع الموسيقى ، د . فؤاد زكريا .
 - (٢٧) النقد الأدبى الحديث ، د . غنيمى هلال .
 - (٢٨) خيال الظل وتميليات ابن داينال ، د . ابراهيم حمادة .
 - (٢٩) تنمية الابداع ، د . زين العابدين درويش .
 - (٣٠) ثقافة الأطفال ، د . هادى نعمان الهيتى .
 - (٣١) معنى الفن ، هربرت ريد ، ترجمة سامى خشية .
 - (٣٢) التربية الجمالية المعاصرة ، ترجمة د . كاترين كالدسون .
- (د) من الدوريات وبحوث المؤتمرات

- مجلة التراث الشعبى :

الطفل فى التراث ، د . كامل الشيبى .

- مجلة عالم الفكر :

اغاني البراءة ، د . عبد الهاب المسيرى .

- مجلة العلوم الاجتماعية :

نظرية الشعر عند الفلاسفة ، د . ألفت الروبى .

- مجلة فصول :

الشعر والفكر المجرد ، بول فاليرى .

- مجلة العربى :

الأطفال والأدب الشعبى ، د . محمود ذهنى .

- المجلة العربية :

أدب الطفولة . . قراءة جديدة ، د . أحمد زلط .

— بحوث مؤتمر الأدباء العرب (العاشر) طـ الجزائر ١٩٧٥ م .

المؤلف في سطور

د أحمد زلط

- من مواليد (الزقازيق . مصر- شنبارة الميمونة .)
- دكتوراه الفلسفة في الأدب والنقد بمرتبة الشرف .
- أستاذ جامعي وكاتب من جيل السبعينات .
- عضو اتحاد كتّاب مصر .
- عضو رابطة الأدب الاسلامى العالمية بالهند .
- مؤسس جماعة الإبداع الأدبى .
- عضو مؤسس ومستشار تحرير فصلية سلسلة أصوات معاصرة .
- أستاذ مساعد الأدب الحديث وأدب الطفولة بكليات المعلمين بالمملكة العربية السعودية .

صدر له :

- وجوه وأحلام (سلسلة أصوات) . ط ٢ .
- الدكتور محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية (هيئة الكتاب) .
- دراسات نقدية في الأدب المعاصر (دار المعارف) .
- ديوان السنهوتى للأطفال جمع وتبويب (دار الشرق) .
- الطفولة والامية سلسلة اقرأ (دار المعارف) .
- رواد أدب الطفل العربى (دار الأرقم) .
- ادب الأطفال بين احمد شوقى وعثمان جلال ، ط ١ ، دار الجامعات .
- أدب الطفولة بين كامل كيلانى ومحمد الهزارى (دار المعارف) .
- دراسات نقدية في الأدب المعاصر (ط ٢ الشركة العربية للنشر والتوزيع) .
- فى جماليات النص الأدبى (ط ١ الشركة العربية للنشر والتوزيع) .
- أدب الطفولة أصوله ... مفاهيمه (رؤية تراثية) ط ٤ ، الشركة العربية للنشر والتوزيع .

من نشاطه البحثى :

- الاشتراك فى العديد من المؤتمرات العلمية المحلية بالجامعات .
- الاشتراك فى المهرجان الوطنى العربى السعودى للتراث والثقافة .

قائمة المحتويات

٥ مقدمة الطبعة الأولى

٧ مقدمة الطبعة الرابعة

الباب الأول

«الأدب والطفولة»

١١ مدخل

١٧ الطفل لغة

١٩ الأدب والطفل

الباب الثانى

«الفنون التراثية والطفل»

٣٧ الحكايات القصصية فى الأدب العربى

٥٠ الأمثال الحكيمة

٥٨ الألفاظ والأحاجى

٦٢ خاتمة

الباب الثالث

«الفنون الشعرية التراثية والطفل»

٦٧ مدخل

٦٨ ملامح تراثية

٧١ صورة الطفل فى التراث الشعرى العربى

٩٣ الطفل شاعرا

٩٨ «بابات خيال الظل»

١٠١ الترنيمات الشعرية الغنائية والطفل

١٠٤ أشعار الترقيص

١٠٦	الأشعار القصار بين الغناء والايقاع
١١٦	مختارات من أغاني ترقيص الطفل في التراث
١٢٤	صورة مجملة
١٢٦	خاتمة مجملة
١٢٩	قائمة المصادر والمراجع .
١٣٣	قائمة المؤلفات
١٣٩	المؤلف في سطور
١٤١	قائمة المحتويات

رقم الايداع (٩٠/ ٩٥١٤)

هذه الطبعة



.. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام
على خاتم الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد :

فبين يدي جمهور القراء - هذه الطبعة
الرابعة - من كتاب (أدب الطفولة : أصوله . .
مفاهيمه) ولعل توالى إصدارها بهذا المعدل - منذ

صدور الطبعة الأولى عام ١٩٩٠ - إنما يصادف مردود الثقة الغالية لدى
جمهور القراء والباحث والآباء من المعلمين والمربين وسائر المهتمين بأدب الطفل
وثقافته . لقد استهدفت الطبعة - كسابقاتها - أن تحافظ على الهدف الذي
صُنفت من أجله وهو محاولة (التأصيل التاريخي والفني لأدبيات الطفولة)
باستقراء الأصول التراثية في لغتنا وأدبنا ؛ مما يسهم في تعبيد الاسس أو
المفاهيم الأكاديمية في مجال أدب الطفل الموروث وأنواعه .

والمؤلف يدفع بكتابه في تلك الطبعة الرابعة المنقحة وهو شبه راض ؛ حيث
تم تصويب بعض الأغلط الطباعية أو ملحوظات ابراز العناوين . كذلك تم
الإفادة من الآراء العلمية الثاقبة التي أشار إليها بعض النقاد في معرض
تنويرهم بالمؤلف حال صدوره ، أما الآراء الشخصية أو الانفعالية أو الجزئية
القاصرة ، فلم تعبأ بها الطبعة .

أحمد الله عز وجل الذي وفقني لبلوغ شطآن أحد مرافق الأدب الرحبة.

د. أحمد زلط

الموزع المعتمد

دار هبة النيل للنشر والتوزيع

To: www.al-mostafa.com